إنشاء المكاتبات الفكرية
والمراسلات العربية

تأليف

السيد

علي فكري

الأمين الأول ورئيس المغيرين بدار الكتب المصرية سابقاً

[الطبعة الرابعة]

١٣٧١ هـ — ١٩٥٢ م

دار إحياء الكتب العربية

عيسى البابي الحلبي وشركاه

حكمة بالغة

قال أحد الأدباء :

خير الكلام ما قلّ ودلّ ولم يطل فيمل

موعظة حسنة

قال أحد الشعراء :

إذا الإخوان فاتهم التلاقي
فما شيء أسرّ من الكتاب
وإن كتب الصديق إلى صديق
فحق كتابه رد الجواب

مقدمة (الطبعة الثالثة)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أستعين

الحمد لله الذى علّم بالقلم ، علّم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد العرب والعجم .

وبعد فقد نفدت الطبعة الثانية من كتاب (المكاتبات الفكرية) من مدة طويلة ، فطلب إلىّ كثير من الأدباء والأصدقاء إعادة طبعه . فنزولاً على إرادتهم ، وإجابة لطلبهم ، أقدمه للطبعة الثالثة بعد أن أضفت إليه خلاصة كثير من المراسلات العصرية المفيدة .

وغاية رجائى أن ينال القبول ، فأحظى بالمأمول ، والله خير مسئول .

السيد
على فكرى
ابن المرحوم السيد محمد عبد الله الحكيم

مصر الجديدة فى { ١٢ ربيع الثانى سنة ١٣٥٥
أول يونيو سنة ١٩٣٦ }

مقدمة الطبعة الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

و به ثقتي وعليه توكلي

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين و إمام المتقين وعلى آله وصحبه أجمعين .

و بعد فقد نفدت ولله الحمد والشكر الطبعة الثالثة من كتابنا هذا :

* المكاتبات الفكرية *

وعهدنا بطبعه للمرة الرابعة إلى السادة أصحاب دار إحياء الكتب العربية ، سائلين المولى جل وعلا أن يوفقهم لنشره فى جميع البلاد العربية والأقطار الإسلامية حتى يعاد طبعه مرات عديدة وليعم نفعه جميع العباد فى كل البلاد .

والله ولى التوفيق و إليه المصير ، نعم المولى ونعم النصير .

العباسية فى ١١ إبريل سنة ١٩٥٢

علي فكري

تمهيد
فى وصف القــــلم

القلم آلة الكتابة ، ومفتاح الإجابة ، وعنوان النجابة .

القلم لسان لا ينطق ؛ لأنه يترجم عما فى الجنان ، بأفصح بيان ، وربما كانت فائدته للإنسان أكثر من فائدة اللسان .

فيحضر الغائب وإن طال بعده ، ويجدد الماضى وإن قدم عهده ، ويجمع بين الأصحاب والإخوان ، فى الأفراح والأحزان ، ويسمع أهل الشرق والغرب ، من كل صوب ، ويسعى فى قضاء الحاجات ، ويقوم مقام الناس فى المخاطبات والمكاتبات وهو عُدَّة المؤلفين والكتّاب ، وجاه المفاخرين بالأحساب . تقرأ الكتاب ، وكاتبه قد غاب ، أو دفن فى التراب .

وترى المؤلف ، تمضى عليه الألوف ، وهو بين الناس معروف ، ينتفع به القاصى والدانى ، على اختلاف الأزمان .

وقد جعله الله اليد والساعد ، والعضد المساعد ، لنشر العلوم والآداب ، بين جميع الطلاب ، وضبط أعمال الدواوين ، وشرح أخبار الماضين والحاضرين ، وحفظ الحقوق المدنية ، والأحكام الشرعية ، وهو نديم العلماء والأدباء ، وجليس الملوك والأمراء ؛ غير أن طعنة بسن القلم ، ربما كانت أشد من طعنة بحد الخنجر ؛ لأنها تحدث ألماً وأى ألم . فكم هيج القلم من كروب ، وأثار من حروب .

ما كنت أحسب أن الخنجر القلم ... من قبل هذا ولا أن المداد دم
حتى كتبت فما ألفيت جارحة ... إلا وفيها على مقدارها ألم
يا كاتباً جرحت روحى كتابته ... والجرح فى الروح جرح ليس يلتئم
اذهب لحق أمير أنت كاتبه ... أن لا يقوم له عرب ولا عجم

كما أنه رسول السلام ، بين جميع الأنام ، فكم محا من عدوات وأزال من مخاصمات ، وحل من مشكلات ، وعقد من معاهدات، حباً فى السلام التام ، والأمن العام .

و بالجلة فإن فضل القلم ، أشهر من نار على علم ، وكفاه فخراً أن الله تعالى أقسم به فى محكم كتابه ، فقال :

« ن والقلم وما يسطرون »

وقال أبو الفتح البستى فى وصفه :

إذا افتخر الأبطال يوماً بسيفهم ... وعدّوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب فخراً ورفعة ... مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

وقال آخر :

وأخرس ينطق بالمحكمات ... وجثمانه صامت أجوف
بمكة ينطق فى خفية ... وبالصين منطقه يعرف

صفات الكاتب البليغ

الكاتب البليغ هو الذى إذا مسك القلم بيده سرت كلماته من على القرطاس إلى

يغضب ويثور ، وطوراً يفرح ويمرح ، كأن هذه الكلمات سيال كهربائى يسرى فى فؤاده فيحرك عروقه ، فينفعل ويتأثر تأثيراً نفسياً بحسب قوة البلاغة فى التحرير ، وحلاوة اللفظ ودقة التعبير .

الكاتب البليغ هو الذى إذا كتب كأنه يكتب عن نفسه لا عن غيره ، فيصور من نفسه فى حالة السرور فرحاً مغتبطاً ، وفى حالة الحزن حزيناً كئيباً ، وفى حالة الشجاعة بطلاً مقداماً ، وفى حالة الرجاء والاستعطاف رحيماً شفيقاً ، وفى حالة الشوق حبيباً مشتاقاً ، إلى غير ذلك فى جميع الحالات والمناسبات .

الكاتب البليغ هو الذى يهز القلوب هزاً فيخضعها لإرادته بقوة عبارته وسحر بيانه ، عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم :

« إن من البيان لسحرا ، وإن من الشعر لحكمة »

وبالاختصار الكاتب البليغ هو الذى يعبر بقلمه عما فى الوجدان من الأفراح والأحزان ، ويمثل وقائع الحال ، فى أحسن قالب وألذ مقال ، ويختار من الكلام ماحسن معناه ومبناه ، ويترك الحشو واللغو ، والتطويل الممل ، والإيجاز المخل ، عملاً بقول الحكيم :

« خير الكلام ماقلّ ودل ، ولم يطـــــل فيمل »

هذا وإذا كتب إنسان إلى صاحبه كتاباً كان حقاً عليه رد الجواب عملاً بقول ابن عباس رضى الله عنه :

« أرى رجع الكتاب علىّ حقاً كما أرى رجع السلام »

مكاتبات التعارف قبل اللقاء

١ — رسالة للثعالبي

أنا أشتاقك كما تشتاق الجنان ، وإن لم تتقدم لها العينان ، أنا وإن كنت ممن لم يسعد بلقائك ، فقد اشتمل عَلَيّ الأنس ببقائك ، والشوق إلى محاسنك ، التى سارت أخبارها ، ولاحت آثارها ، لاتزال الأيام تكشف لى من فضلك ، والأخبار تعرض عَلَيّ من عقلك ، مايشوقنى إليك وإن لم أرك ، ويزيدنى رغبة فى ودّك وقد سمعت خبرك .

[منتجات الأمة العربية]

٢ — وله أيضاً

نحن فى الظاهر على افتراق ، وفى الباطن على تلاق ، نحن نتناجى بالضمائر ، ونتخاطب بالسرائر ، إذا حصل القرب بالإخلاص لم يضر البعد بالأشخاص . أنا أناجيك بخواطر قلبى ، وإن كان قد غاب شخصك عنى ، إن أخطأتك يدى بالمكاتبة ، ناجاك سرى بالمواصلة ، رب غائب بشخصه ، حاضر بخلوص نفسه ، إن تراخى اللقاء فإننا نتلاقى على البعاد ، ونتلافى نظر العين بالفؤآد .

[منتخبات الأمة العربية]

٣ — رسالة للمرحوم الشيخ حمزة فتح الله

كما أن شغف الجنان ، بالحسن والإحسان ، تكون داعيته المشاهدة وتسريح الأنظار فى محيا الكمال ، ومجتلى الجمال ، فترى العين من تلك الغُرة ، مايعنوها قُرة ، فكذلك السماع يستدعى هذا الشغف فيتأثر الجنان ، بما يشنف الآذان ، مما تهديه إليه طرائف الأخبار ، على ألسنة الأسفار والأخيار ، حتى كأن حاستى السمع والبصر فى ذلك صنوان ، بل إخوان ، فى هيكل هذا الجسمان .

وقد يعلم السيد ، أطال الله بقاءه ، وأدام ارتقاءه ، أن ذلك الأمر ، أى الشغف بالسماع ، ليس بالحديث العهد ، ولا القريب الجِدَّة ؛ بل هو أمر عرف قديماً ، أن يهدى السماع إلى سويداء القلب لاعج الحب سعّره من الأنباء عرف شميم ، فتهيم بمجرد استنشاق ذلك الشميم ، حتى يقول الشاعر العربى :

* والأذن تعشق قبل العين أحيانا *

منتخبات اللغة العربية

٤ — أما بعد ، فهذه أول رسالة أكتبها إلى من لم يكن لى به جامعة جسمية ، ولم تضمنى وإياه حفلة تعارف شخصية ، وهى وإن كانت فى عرف غيرى تعد هجوماً ، أو تحسب فضولاً ، إلاّ أنى أعتقد أنها وفدت على كريم يحسن وفادتها ، ويتقبل ماتهديه إليه من عظيم تحية وجليل إجلال ، ويجتنى من خلالها إرادة ودّ ، ورجاء ولاء ، وبغية فضل ، ورغبة فى إخاء ، فيحلها منه محل القبول ، ويدرأ عنها وصمة الفضول ، فإن للسيد آثاراً شاهدناها فاستفدناها ، ومآثر سمعناها فرويناها ، أو تناقلناها ولا مرية فى أن ما غاب عنا أكثر مما وعينا ، وأوفى مما سمعنا .

المرحوم عبد الكريم سلمان

٥ — يعلم الله ما عندى من الشوق إلى السيد وإن لم يره البصر ، والتشوق إلى شهوده وإن لم يكتحل بإثمد محاسنه النظر ، والشغف بسماع الحديث منه ، كما سمعته عنه ، فقد سبقت ذكرى محاسنه إلى السمع ، ووصل خبر لطائفه إلى النفس .

* وما المرء إلا ذكره ومآثره *

وحسدت العين عليه الأذن ، وودّت لو أنها السابقة إلى اجتلاء رقائقه ، وشهود حقائقه .

* فللعين عشق مثل مايعشق السمع *

لا جرم أن ما تعارف من الأرواح ائتلف ، وما تناكر منها اختلف . ونحن وإن بعدت بيننا الشقة ، ولم يسبق لنا باللقاء عهد ، فلحمة الأدب تجمعنا ، ووحدة الوجهة تضمنا ، ولحمة الأدب أقوى من لحمة النسب ، وجامعة الوجهة فوق اجتماع الوجوه .

وقد رأيت أن أزدلف إليك بالمكاتبة ، وأتوسل إلى شرف التعرف بالمراسلة ، حتى إذا لم يبق فى الصبر على الافتراق مسكة ، وأبى الجسم دعوة الروح ، فاندفع إلى طلب الاجتماع أكون قد مهدت له سبيلاً ، ووطأت له طريقاً ، فلا تبهرنى فرحة اللقيا ، ولا يغمرنى طرب الظفر ، « فمن فرح النفس ما يقتل ، ومن نشوة الراح ، ما يزهق الأرواح » .

فإن رأى السيد أن يكاتب عبده ، ويعتقه من رق الفرقة ، عجل بجواب هذا الكتاب ليعلم العبد أن نميقته صادفت قبولاً ، وأن وسيلته اتخذت إلى سيده سبيلاً ، قرب الله زمن اللقاء ، وقصر أمد النوى ، حتى أنشد فى السلام .

تطابق الخبر فى علياك والخبر وصدق السمع فى أوصافك البصر

المرحوم (حفنى ناصف)

٦ — كتابى إلى مولاى وقد نمى إلى حديث فضائله ، ونقلت لى الصباعيير شمائله كتاب إمرىء دله التواتر ، على البحر الزاخر ، وأرشده أرج النسيم ، إلى الروض المقيم ، فولهه بورود شرعته ، والاستظلال بدوحته ، وائتلاف النفوس اذا كان فطريا ، كان ميلها بمجرد الرؤية أو السماع طبعيا ، ومن ثم قدمت التعرف إليه بهذا الخطاب حتى أرد عليه وقد نظمنى فى سلك الأصحاب ، وسيلقى من قاصده ما يجعله مفزع رأيه وحقيبة سره ، ويحقق به ثقته ، فيرفع منزلته ، ويصبح فى مقدمة بطانته ، ويشمله بعنايته ، والسلام ؟

المرحوم (سلطان محمد)

٧ — إنسان العين ، وعين الإنسان ، حضرة المحترم

المودة أمر عزيز المرتقى على من يصطفى صديقه ، ويرعى حقوقه ، وإنى اصطفيتك على الناس برسالتى هذه ، وعهدى بكرم سجاياك أن تصافحها براحة القبول ، وتتخذها فاتحة ودّ طارت به إليك رياح فضلك ، بعد ما مثلت آياته لك فى القلوب ممن ظهرت فى مرآة العين صورته .

فإن أبيت ودادى غير مكترث فعنك ما دمت حياً لا أرى بدلا

وحاشاك عن مثل ذلك الإباء ، ونحن وإن لم تحظ أشباحنا باللقاء فأرواحنا من قبل جنود ، وأعيننا شهود ، فإن أنت منحتنى ولاء خالصاً ، وإخاء صادقاً ، وإلا فهبنى امرأ هالكا ، ولا إخالك ترضاه . وإن كنت المتطفل على مائدة مودتك ، فلى نفس أديب لا ترى العز إلا فى الترامى على ذرى الكمال ، لا زلت على مرقى الجلال ، والسلام م؟ المرحوم (محمود أبو النصر)

٨ — لم أكن فيما أكتب لك إلا سارياً فى ليل التعارف على ضياء خلالك التى أملاها علىّ لسان المدح الذى شرّق وغرّب وطبق الأرض صيته

وإنى وإن لم أكن سعدت من قبل باجتلاء طلعتك الزاهرة ، واجتناء صفا كرمتك الغضة ، فقد دلنى على الليث زئيره ، وعلى البحر خريره ، وعلى العقل أثره ، وعلى السيف أثره ، ولئن لم تجمعنا لحمة النسب ، فقد جمعتنا حرفة الأدب ، أو لم يضمنا قبل مضيف ومرتبع ، فالطيور على أشكالها تقع ، وشبه الشىء منجذب اليه ، وأخو الفضائل هو المعول عليه

وهذه الرقعة وإن وصفت لك بعض ما أنا مطوى عليه من التهافت على رؤيتك والميل إلى صداقتك ، فقلما تنوب عن المشافهة أو تقضى حاجات فى النفس طالما تردد صداها . وفى ظنى أن سيدى يودّ ما أودّه ، وعما قليل يسفر صبح اللقاء ، وتتجاذب

أهداب المعرفة ، وأرى من سيدى فوق ما توسمته وسمعته ، ويرى منى ما يرضيه ، والسلام ؟ المرحوم (أحمد مفتاح)

٩ — أيها الفاضل

يتقدم اليك من انتهى الى سمعه حديث فضائلك فملك فؤاده ، وتليت عليه آيات شمائلك فهزت شوقه ، وهبت عليه رياح لطائفك فاستنشق منها ما سر النفس وشرح الصدر ليهديك سلام الله وتحيته المباركة

وبعد ، فلئن كان للحب وسيلة ، والود طريق ، فلقد كان من ذكرى آدابك ماغرس فى قلبى المحبة إلى لقائك ، والميل لأن أكون من عداد أصحابك

لذا خطت يمينى هذا الخطاب لأستميل صداقتك ، والله يعلم أنى لا أبتغى إلا الإخلاص فى المودة ، وعهدى بكرم سجاياك أن تحله محل القبول

وإنى أعيذك من أن تعدّ هذا منى فضولا ؛ لأنى من عاشق الأدب وذويه ، آلفهم كما يؤالف الندمان ، وأشتاقهم كما تشتاق الجنان ، وقد عرفت مكانتك من الفضل بما تواتر عن الأجلاء حتى أصبحت منزلتك فى القلوب لا تجارى ، وأى قلب لا يحله فاضل عرف بالمكارم فى الأخلاق ، والعلو فى الآداب ، واللين فى المعاملة ، والميل إلى نفع الناس

وخير عباد الله أنفعهم لهم كما جاء فى قول النذير المبشر

وإنى لأحسبنى سعيدا إذا تكرمت فنظمتنى فى سلك أصفيائك ، وأوردتنى منهل أخلائك ، والسلام ؟

« من كتاب الإنشاء »

١٠ — صاحب الفضل والكمال ، أطال الله حياته

سلام على الأخ ، وهو أول سلام أكتبه إليك ، وسيكون إن شاء الله فاتحة صحبة وثيقة ، ومحبة صادقة

سيدى وقد سمعت سيرتك الحسنى ، وتحدث الناس بصفاتك الفضلى ، فرغبت أن أتعرف بك ولو لم أرك ، وأصادقك وإن لم أشاهدك

* والأذن تعشق قبل العين أحيانا *

فلى الشرف كله يوم أعدّ من أصحابك ، وأحسب من أحبابك ، يوم تكون لى أخاً ، وأكون لك صديقاً ، ذلك هو يوم العيد الأكبر والهناء الأعظم ، حقق الله آمالى ، وبلغنى تلك الأمانى ، قريباً بعونه تعالى

وإنى لأنتظر منك رداً جميلاً كما هى شيمتك ، ورسالة حسنة كما هى سجيتك ، حتى يهدأ بالى ، ويطمئن قلبى ، ويتم سرورى وأنسى . لا زلت موئل الفضل ، ومصدر الخير . سرنى الله بلقائك ، وأعزك وأعلى شأنك ، وأتم نعمته عليك ، والسلام ؟

« ثمار الإنشاء »

١١ — سيدى الفاضل

قد بلغنى عنك فى وفائك وفضلك ، ما يدعونى لطلب ودّك ، ويرغبنى فى إخائك وإن كنتَ لا تؤاخى إلا من كان فى درجتك ، وبلغ من الخلال مبلغ قدرك ما آخيت أحداً ، ولكنتُ أنا من الإخوان صفراً . وقد رأيت أن آخذ بنصيبى من ودّك ، وأصل حبل مودّتى بحبلك ، وعلمت أن تركى هذا غبن ، وإضاعتى إياه جهل وجبن ، فلا تحرمنى ودّك ، وامنحنى فضلك ، وسلام الله ورحمته عليك ؟

١٢ — حضرة الأخ الهمام

قد اختبرت حالك ، منذ حظيت بمقابلتك ، فوجدتك ذا شهامة ونفس عالية

فحدا بى هذا إلى اختيارك صاحباً لى ، وإنى أنزلتك فى فؤادى منزلة الصديق الذى يفاوض فى الخير والشر ، ويشارك فى الحزن والسرور ، ولى معك عينان : أحداهما مغضوضة عن كل ما يسوءنى منك ، والأخرى مرفوعة إلى كل ما يسرنى فيك . فإن كنت تجد فى نفسك على قولى هذا شاهداً عدلاً ، فعرِّفنى لأعلم أن فراستى فيك لم تخب ، وأنى أصبت الاختيار ، وثق بأن الذى خطبته منك إنما أريده لك ، فلا تقع فى وساوس صدرك ، وإياك أن تستشير فيه غير نفسك وا كتف بهـذا القدر منى والسلام ؟

١٣ — سيدى المحترم

من سنة الله فى خلقه أن يؤلف بين الأرواح وأمثالها . وإن لله ملائكة يسوقون الأشكال إلى أشكالها . فلما جمعتنى محاسن الاتفاق بك فى محفل أحد الإخوان رأيت فيك نفساً تحب ، وخصالاً تعشق ، فملت بكل جوارحى للتعارف بك ، ورغبت فى مودتك . فهل لى نصيب فى نيل هذا الشرف ؟ وهل لك أن تسعدنى بإجابة طلبى ؟

١٤ — حضرة الأخ الأديب

إن مكارم الأخلاق ، ومعالى الهمم ، مما تسترق القلوب ، وتملك الأرواح ، قبل الأشباح وإنى مذ علمت بمحاسن أخلاقك ، وطيب سيرتك ، وأنا مشغوف الفؤاد بالتعارف بك ، مشغول البال بالوصول اليك ، ولم أجد سبيلاً لذلك سوى المراسلة . فإن رأى سيدى أن يقيدنى فى سجل معارفه ، ويقابل رسالتى هذه بما اشتهر عنه من اللطف وكريم الطبع ، تمتعت بالرؤية الأبصار ، كما تمتعت المسامع بطيب الأخبار ، وكنت شاكراً لأفضاله معترفاً بكماله وجلاله ؟

١٥ — سيدى الماجد

إن المودة لا تباع ولا تشترى ، وإنما هى نتيجة اجتماع وتعارف ، والمرء قليل بنفسه

كثير بإخوانه ؛ وقد سمعت عن السيد وقرأت من آثاره المألوفة ماحببه الى ، وساقنى للتعارف به وإنى لا أكتفى بمجرد السماع ولا أقول كما يقول البعض :

* والأذن تعشق قبل العين أحياناً *

فإنما هى جارحة صغيرة ؛ ولكن كلى ميل اليه وشوق للسلام عليه . فان لم يتيسر أن يرانى وأراه فليسعدنى ببعض أسطر تؤكد لى رضاه . فاذا عزت المقابلة فإنى لا أحرم من أحاديث المراسلة .

١٦ — سيدى الفاضل

إن لسيدى آثاراً شاهدناها فاستفدناها ، ومآثر سمعناها فرويناها ونقلناها ، ونحن (والله يعلم) طلاب كمال وأدب ، وعشاق فضل ونسب ، وقد توسمنا فى السيد أطال الله بقاءه طلبتنا ، ووجدنا لديه بغيتنا ، فتوسلنا إليه بالمكاتبة ، ولنا كبير أمل فى القبول ، فيكتب لأخيه بضع كلمات يعرف منها أنه قبل منه الإخاء ، والتحالف على الوفاء ؟

١٧ — سيدى الوجيه

التطفل محظور فى غير مواطنه ؛ ولكنه مباح فى أماكنه ، وإن كان فى بعض الأحوال يوجب عاراً ووزراً ، فإنه فى بعضها يجلب فخراً وذخراً ، ولهذا قد تطفلت عَلَى السيد بهذا الكتيب أخطب به مودته ، وأعرض عليه مودتى ، فإن رآنى أهلاً له أجاب بالقبول ، وكان لى بعد ذلك غاية المأمول ؟

١٨ — الأخ العزيز

خير ما يصطفى من الرفاق ، ذوو الفضل ومكارم الأخلاق ، وقد اصطفيتك لنفسى ، واخترتك لمودتى وأنسى ، حيث توسمت فيك كل مكرمة ، وعهدت فيك

كل فضيلة ، فجذبتني إنسانيتك ، ودعاني ظرفك ، بأن أمكن فؤادى من ودك ، وأستديم عهدك . فناشدتك الله أن تقبل منى الإخاء ، وتنيلنى منه الولاء ، فلئن راق هذا لديك فقد نلتُ سؤلى ، وكوفئتُ عَلَى طلبى ؟

١٩ — إنى أهديتك مودتى رغبة فيك ، ورضيت بالقبول منك مثوبة ، فصرت بقبولها قاضياً لحق ، ومالكاً لرق ، وصرت بالتسرع إلى الهدية ، وطلب المثوبة مرتهن اللسان بالرضاء ، واليدين بالوفاء ؟

٢٠ — الأخ الحبيب

لقد اتصلنا بأسباب المودة ، وارتبطنا بحبل الصداقة ، حتى قصرنا الوداد عليك ، ورضيناك من الدنيا نصيباً ، واخترناك من العالمين حبيباً ، فالله تعالى يحقق أملنا فيك ، ويبلغنا وإياك ما يرضينا ويرضيك ؟

٢١ — الأخ الصادق

إنى وإن لم أسعد بالتعارف بك من قبل ؛ ولكننى فى شغف لذلك ، فقد سمعت عنك من حسن الصفات ، وكريم الأخلاق ، ما يطمعنى فى طلب ودك ، وإنى مع ذلك لم أرغب إلا فى أخ يسرنى إذا حضر ، ويحفظنى إذا غاب ، ويذكرنى إذا نسيت ، ويتشوق إلىَّ فى أوقات صفوه وأنسه ، وقد جمعتَ من هذه الخلال ما يحقق لى حسن المآل ، فلا تطل عَلَىَّ الجواب ، لأبادر بشكر الله عَلَى هذا التوفيق ، وسلام الله ورحمته عليك ؟

أجوبة مكاتبات التعارف

١ — وصل كتاب الأخ فأوصل إليَّ السرور والفرح ، وأبان لى رغبتك فى مودتى ، فعبر عما كان فى قلبي مكنوناً ، وحقق من أملى ما كان مظنوناً ، إلا أنك السابق عَلَى أخيك ، وهذه نعمة قد سبقتَ بإسدائها إلىَّ ، وكرامة تقدمتَ بها عَلَىَّ ، من غير سبب قدمته ، ولا موجب التزمته ؛ ولكن كالك مثَّل لمروءتك أن تخطب مودتى ، فأزفها إليك ، ومهرها القبول ، والسلام عليك ؟

٢ — لو كنت أعلم أن ودّى يهمك كما تحققته من كتابك ، لكنت أخبرتك عما يكنه ضميرى مذ سمعت عنك ؟ ولكن أبت مكارمك إلا أن تكون البادئ بالجميل ، فلله ما أجمل مروءتك !

وإنى أصرح لك وفؤادى مفعم فرحاً بأن الروح التى أودعتها خطابك قد مثلت كنه ما أنت عليه من كرم السجايا وشرف الخصال ، بما يضيق عنه مجال الإعجاب والاطراء ، ولا يتسع له إلا مقام الدعاء . متعك الله بحياة الشعور ونعمة الفضيلة ، وجمعنا الله وإياك على كلمة الحق آمين ؟

٣ — أخى :

تحيةً وسلاماً من قلب أفرغت نواحيه ، وهيئت أركانه لحفظ مودتكم ، وغرس أصول صداقة أخ ناجانى على البعد ، وتلمس إخائى على السماع .

« والمؤمن عند ظن أخيه »

فإذا صحت فراستكم من أنها أصابت مرمى الإخاء ، فنفسى تبتهل سروراً بإخائكم ، وتمدّ يداً مبسوطةً تسأل حظها من رابطتكم ، التى ستكون لها من ورائها خير معوان

وأجمل ذكرى ، وما مثلى معكم إلا مثل أخوين افترقا من قديم ، و بعدت الشقة بينهما ، فأضحى الواحد منهما يستطلع مكنون ما كان قد ادّخره لأخيه من جميل الفضائل ، و يودّ لو يعمر ألف سنة ليمتع الطرف بنظرة تحيي منه القلب ، وتزيل ما ألمّ به من ألم الفراق .

وإنى أحمد الله إذ كنتم السابقين والموفقين لأن يحظى مثلى بودادكم ، و ينال منكم ما كان يرمقه طول حياته ، والسلام ؟

[من كتاب الإنشاء]

٤ — حضرة الفاضل :

أما بعد : فإن المعرفة رق ، وليس من الهين على نفسى أن أقيدها بقيود الرق لمن لم تلاحظنى العناية بخبرته ، ولم يصادفنى الوقت فى البدء باختباره ، والتوثيق من معرفته ، على أنى بخطبتك لودادى ، واصطفائك لموالاتى ، رجوت بك الخير ، وعقدت عليك الرجاء ، وسأبسط يدى لإخائك ، وأقبضها على ولائك ، وليتك تمهلنى بعض أيام أتمكنه فيها كنهك ، وأستشف فيها دخائل فضلك .

« فان المرء مرآة أخيه »

والناس أنواع فيما يحبون ، فإذا تشاكلت مذاهبهم ، واتفقت مناهجهم ، لم تنفصم عراهم ، ولم تهن بعدُ رابطتهم ، فحسبك منى هذه النصيحة ، وعساك أن لا تختار إلا ما يوافق فضائلك ، و يحذو حذوك ، حتى لا تندم عما فرط منك فى إهمال التجربة ، و إغفال شروط المودّة ، والسلام ؟

[من كتاب الإنشاء]

٥ — إننى أحق بابتدائك بما ابتدأتنى به من صلة التعارف ، إلا أنك أحق بالفضل الذى سبقتنى إليه ، والسلام ؟

٦ — يعجز بنانى ، عن وصف امتنانى ، من خطابك المنبئ عن شرف النفس، وكرم الطبع . جاء كتابك وعلى يمينه الأدب ، وعلى يساره الكمال ، وتعلوه الرفعة والاعتبار ، ويحفه الجلال والوقار ، فقلت : الله أكبر ! ما أرق هذا الشعور ! وما أجمل هذه الشمائل ! فقد أدخل عَلَىَّ السرور برؤية خط أديب طالما تشوقت الأنظار لرؤيته ، وتشنفت الآذان بطيب أخباره ، وتغذت النفوس بمطالعة جليل أفكاره ، فهل لناظرى أن يشارك سمعى فى حسن صفاته وجميل أخلاقه ؟ فأفوز بالغايتين ، وأحظى بالسعادتين ؟

٧ — جاء كتابك الكريم ، فقلت أهلاً وسهلاً بمن بالفضل تقدم ، وبالمودّة أنعم . جاء رسولك الصادق الأمين يطرق باب مودتى ، ففتحت له باب إخائى وصحبتى . جاء يدعونى للتعارف بك ، فقلت سمعاً وطاعة ، مرحباً مرحباً بصاحب الرفعة والأدب ، نعم لم يكن بيننا سابقة تعارف ؛ ولكن رابطة الجنسية وافية ، وجامعة الدين كافية ، وعليها نتحالف بصدق العهد ، وإخلاص الود ؟

٨ — مرحباً بك وبرسالتك وبرسول مودتك ، وإنى أحمد الله على هذا التوفيق ، مهنئاً نفسى على نعمة الإخوان ، فهم مرتجاى ومعتمدى ، وغاية أنسى ، وريحانة نفسى ، راجياً من المولى عز وجل أن يبقى لى حياتك وحياتهم ، ويحفظ مودتك ومودتهم ؟

٩ — بمعرفتك تشرفت ، وبمصاحبتك سُعدت ، وما أظهرته نحوى من الميل والانعطاف أثر فى نفسى تأثير سرور وفرح ، فكتبت هذا ليكون فاتحة مراسلة وداد بيننا ، إن بعدت الدار وعز اللقاء ، وليكون دليلاً على الإخلاص ، وعنواناً على الإخاء ؟

١٠ — إن تعارفى بك لمن أجل النعم التى أشكر الله عليها وأدعوه دوامها ، تعارف طالما تاقت نفسى إليه ، وعولت على الإقدام عليه ، لولا أنك كنت السابق المشكور ، صاحب الفضل المشهور . أسأله تعالى أن لا يحرمنى نعمة وجودك ، ويبقى لى ودادك ؟

١١ — قرأت كتابك فرأيت فيه روحاً شريفة ، ونفساً عالية . أنت الذى مثلت أمامى المودّة فى أكمل أشكالها ، والصحة فى أبهى معانيها ، فعلمت أن الحياة ليست كلها شقاء ؛ بل فيها ساعات سعد وهناء ، هى ساعات أنسك ومودتك والحمد لله ؟

١٢ — أكتب إليك وأنا معجب بكتابك الرقيق الذى وقع من قلبى موقع القبول والاستحسان ، وعبّر عما فى الوجدان من المحبة وعظم الامتنان . وغاية ماأقول : إنه ليس فى الإمكان ، أبدع مما كان . وإنى أعدّ تعارفى بك أعظم إحسان ، يقابل بجميل الشكران ؟

١٣ — ورد إلىّ خطابك الذى تدعونى فيه للتشرف بالتعارف بك ، فأكد لى ما كان يدور فى خلدى ، وحقق عندى مايقوله الناس من أن قلوب المحبين ترى من وراء حجاب ، حيث كنت كلما أراك أشعر فى نفسى بارتياح زائد لجهتك ، وشغف شديد للتعارف بك ، حتى حقق الله المأمول ، فأهنئ نفسى على هذا الرضا والقبول ، والسلام ؟

١٤ — أيها المحترم :

أشكر لك حسن ثقتك بى ، وعظيم ميلك إلىّ ، ولقد كان بودّى أن أحقق رجاءك ، فأكتسب بذلك صداقتك ، وتكون لى خير أخ معين ، كما أكون لك فى هذه الحياة التى لا تكاد تخلو من هموم تتعاقب ، وأكدار يتلو بعضها بعضاً . إلا أن

فلة ثقتي بالناس قد جعلتني أنفر من العالم ، وآنس بالخلوة ، وأوثر الوحدة ، عملاً بقول الشاعر :

وزهدني في النـاس معرفتي بهم ... وطول اختباري صاحباً بعد صاحب
فلم ترني الأيام خـلاً تسرني ... مباديه إلا ساءني في العواقب
ولا قلت أرجـوه لدفع ملمـة ... من الدهر إلى كان إحدى المصائب

ولعلك تنحى على باللائمة ، فشأنك وما تريد ، وإنما أرى لك قبل ذلك أن تعلم أن للناس فيما يعشقون مذاهب ، والسلام ؟

[من كتاب الانشاء باختصار]

١٥ — سيدى المحترم

جاء كتابك الكريم يدعونى للتعارف بك قبل أن ترانى وأراك ، وتخالطنى وأخالطك ، وتعاملنى وأعاملك ، مع علمك بأن حالة المرء تظهرها المعاملة والمعاشرة ، فحمدت الله على هذه الثقة التى وضعتها فى شخصى الضعيف بغير اختبار ، وعلى هذه النعمة التى جاءتنى على غير انتظار

ولكن مثلى من حنكته الأيام ، ودرس أحوال العالم ، لا يسمح بتعارفه إلا راغباً فى أخ يسره إذا حضر ، ويحفظه إذا غاب ويذكره ان نسيه ، ويتشوق اليه فى أوقات صفوه وأنسه فأرجو أن أجد فى شخصك بغيتى وضالتى المنشودة ، حتى أحمد الله على هذا التوفيق ، وأعد نفسى من السعداء

وأسأله تعالى أن يؤلف بين قلوبنا ، ويربطنا برباط المودة والإخلاص ، ويهدينا لما يحبه ويرضاه إنه السميع المجيب ؟

« أحسن ما قيل فى عدم الاستكثار من الإخوان »

لم أجد كثرة الأخلاء إلا   تعب النفس فى قضاء الحقوق
فاصرف الود عن كثير من النا   س فما كل ما ترى بصديق

وقال ابن الرومى :

عدوك من صديقك مستفاد   فلا تستكثرن من الصحاب
فان الداء أكثر ما تراه   يكون من الطعام أو الشراب

وقال بعضهم فى ذم الإخوان :

ألا إن إخوانى الذين عهدتهم   أفاعى رمال لا تقصر فى لسعى
ظننت بهم خيراً فلما بلوتهم   حللت بواد منهمو غير ذى زرع

وقال آخر :

وإخوان حسبتهمو دروعاً   فكانوها ولكن للأعادى
وخلتهمو سهاماً صائبات   فكانوها ولكن فى فؤادى

وقال الطغرائى :

أعدى عدوك أدنى من وثقت به   فحاذر الناس واصحبهم على دخل
فإنما رجل الدنيا وواحدها   من لا يعوّل فى الدنيا على رجل

وقال آخر .

أرحت روحى من الإيناس بالناس
لما غنيت عن الأكياس بالياس
وصرت فى البيت وحدى لا أرى أحداً
بنات فكرى وكتبى هن جلاسى

مكاتبات الأشواق

« من كرم الرجل حنينه إلى أوطانه وشوقه إلى إخوانه »

[ابن الانبارى]

١ — من رسالة للثعالبي في وصف الشوق.

شوق إليك رهين قلبي ، وقرين صدري ، وسمير ذكرى، ونديم فكرى ، ولا يقوى عليه صبرى ، يكاد يكون لزاماً ، و يعد غراماً

شوق قد استنفد جلدى ، وملك جسدى

شوق تركنى حرضاً ، وأوسعنى مضضاً ، أرانى الصبر حسرة ، والوجد يمنة و يسرة

شوق يزيد على الأيام توقداً وتأججا ، وتضرماً وتوهجاً، نار الشوق حشوضلوعى وماء الصبابة ملء جفونى

شوق إليك شوق الروض الماحل ، إلى الغيث الهاطل

[عن الجواهر المنشآت]

٢ — من جيد ما كتبه ابن العميد فى الشوق

كتابى وأنا بحال لو لم ينغصها الشوق إليك ، ولم يرنق (يكدر) صفوها النزوع نحوك ، لعددتها من الأحوال الجميلة ، وأعددت حظى منها فى النعم الجليله ، فقد جمعت فيها بين سلامة عامة ، ونعمة تامة ، وحظيت منها فى جسمى بصلاح وفى سعى بنجاح لكن ما بقى أن يصفو لى عيشى مع بعدى عنك ، و يخلو ذرعى مع خلوى منك ، و يسوغ لى مطعم ومشرب مع انفرادى دونك

وكيف أطمع فى ذلك ؟ وأنت جزء من نفسى ، وناظم لأنسى ، وقد حرمت رؤيتك ، وعدمت مشاهدتك ؟

٣ — من رسالة لأبى الفضل بن العميد

قد قرب — أيدك الله — محلك على تراخيه وتصاقب (قرب) مستقرك على تنائيه ؛ لأن الشوق يمثلك ، والتذكر يخيلك . فنحن فى الظاهر على افتراق ، وفى الباطن على تلاق ، وفى النسبة متباينون ، وفى المعنى متواصلون ، ولئن تفارقت الأشباح لقد تعانقت الأرواح

وقال البسطامى فى رسالة له فى هذا المعنى :

خيالك فى التباعد والتدانى   وشخصك ليس يبرح عن عيانى
وشوقك فى الجوارح مستكن   وذكرك لا يفارقه لسانى

٤ — من رسالة لبديع الزمان الهمذانى

يعزّ على — أطال الله بقاء مولاى — أن ينوب فى خدمته قلمى عن قدمى ، ويسعد برؤيته رسولى دون وصولى ، ويرد مشرعة الأنس به كتابى قبل ركابى ؛ ولكن ما الحيلة والعوائق جمة . وقد حضرت داره ، وقبلت جداره

وما بى حب الحيطان ؛ ولكن شغفاً بالقطان ، ولا عشق الجدار ، ولكن شوقاً إلى السكان

أمرّ على الديار ديار سلمى   أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبى   ولكن حب من سكن الديارا

٥ — أما بعد ، فان تشوقى لحضرتكم يقل فى تقديره البيان ، ويكل من تحريره البنان ، فلا زلت للعين قرة ، وللقلب فرحة ومسرة ، والسلام ؟

٦ — الشوق إلى لقياكم ، واجتلاء نور محياكم ، تضعف عن نقله حمائم الرسائل ولا يحتاج فى إثباته للحجج والدلائل ، فالله يطوى شقة البين ، ويقر بكم العين ، ويمتعنى ببقائكم وطيب لقائكم ؟

[المرحوم عبد الله باشا فكرى]

٧ — رسالة للمرحوم الشيخ حمزة فتح الله

مولاى — أما الشوق إلى رؤيتك فشديد ، وسل فؤادك عن صديق حميم ، وود صميم ، وخلة لا يزيدها تعاقب الملوين ، وتألق النيرين ، إلا وثوقاً فى العرى ، وإحكاماً فى البناء ، ونماء فى الغراس ، وتشييداً فى الدعائم ، ولا يظنن سيدى أن عدم ازديارى ساحته الشريفة ، واجتلائى طلعته المنيفة ، لتقاعس أو تقصير ، فإن لى فى ذلك معذرة اقتضت التأخير ، والسيد أطال الله بقاءه أجدر من قبل معذرة صديقه ، وأغضى عن ريث استدعته الضرورة .

وبعد ، فرجائى فى مقامكم السامى أن لا تكون معذرتى هذه عائقاً لكم عن زيارتى فلكم مننا طوقتمونيها ، ولكم فيها فضل البداءة ، وعلىّ دوام الشكران ، والسلام ؟

[عن الجواهر المنتقاة]

٨ — رسالة للمرحوم محمد بك دياب

كتابى إليك وقد طال بى الانتظار ، وشوقى يجل عن الكيف والانحصار ، فشخصك دائم المثول أمام إنسانى ، وعن سواك من الأخلاء ألهانى وأنسانى . فلله أيام قضيناها ، وليال من الدهر اختلسناها ، كان السرور فيها ضارباً خيامه ، والأنس ناشراً أعلامه ، طوى بساطها ، وكأن الأمر ما كان

غير أنها زرعت بفؤادى شجرة الأشجان ؛ لكن عودها ذابل أو يابس ، وتجددها رهين إشارتك ، فمتى يقرب المزار ، وتنجلى سحب الأكدار .

فاضرب لعودك أجلا ، فالعود لاشك أحمد ، وا كتب بقربك وصلا ، فالوصل أضمن للعهد . وعهدى فى خلقك الوفاء ،وحسن الولاء ، فلا تجعل صفقة شوق خسراً، بل هبنى بعد العسر يسرا .

[عن الجواهر المنثئات]

٩ — طال العهد من فراقك ، ولم يجر القلم بمراسلتك ، حتى خيل مكان للظنة، ومثار للريب ، استغفر الله .

لى من شمائلك روح بروحى ، وفى همتك قلب بقلبي، فلست أنساك حتى أكون بمعزل عن نفسى .

واليوم أكتب من وراء ستار ، فلا تهملونى من التذكار .

ورجائى أن يرد إلىّ من قلبكم ، مايرجوه القلب من ودكم ، والسلام عليكم ، والله يحفظكم ؟

١٠ — طال بعادك ، فعظم شوقى ، وزاد وجدى إلى لقائك ، ولا أدرى متى يكون التلاق ؟ فأسأل الله أن يطوى شقة البين والفراق،وأن يمن علينا بقرب التلاق ، والسلام عليك ورحمة الله ؟

١١ — إن رأيت أن تروى ظمأ أخيك بغرتك ، وتبرد غليله بطلعتك ، وتؤنس وحشته بأنسك ، وتجلو غشاوة نظره بوجهك وتزين مجلسه بجمال حضرتك ، فعلت وكان لك الفعل الجميل والشكر الجزيل ؟

١٢ — وجدت فيك من علو النفس وشريف الوجدان ، ما يجذبنى إليك ويجعلنى بك شغوفاً ، و بإخائك مغتبطا ، فلا تحرمنى من لقائك . فشوقى لرؤيتك عظيم ؟

١٣ — كتب علي بن هشام إلى اسحاق بن ابراهيم الموصلي :

لاأدرى كيف أصنع ؟ أغيب فأشتاق ، وألتقى فلا أشتفى ، ثم يحدث لى اللقاء نوعاً من الحرقة للوعة الفراق ؟

١٤ — كتب أديب إلى آخر اشتاق إلى قربه :

قربك أحب الىّ من الحياة فى ظل اليسر والسعة ، ومن طول البقاء فى كنف الخفض والدعة ، ومن إقبال الحبيب ، مع ادبار الرقيب ، ومن شمول الخصب ، بعد الجدب . وأقرّ لعينى من الظفر بالبغية ، بعد إشراف على الخيبة ، وأسرّ لنفسى من الأمن بعد الخوف ، والانصاف بعد الحيف

فالله أسأل أن يطيل بقاءك ، ويديم نعماءك ، و يرزقنى عدلك ووفاءك ، ويكفينى نبوّك وجفاءك.

١٥ — ليس الشوق إلى مولاى بشوق ، إنما هو وقع السهام ، ولا الصبر عن لقياه بصبر ، إنما هو كأس الحمام ، فوا شدة شوقاه ! عسى الله أن يجمعني وإياه ؟

١٦ — لم يكن شوق اليك شغفاً برؤيتك فحسب ؛ إنما هو شوق إلى خلالك الفاضلة ، وسيرتك الطاهرة فأنا عطش إلى روحك الشريفة ، ظمآن إلى محادثتك اللطيفة ، لهفان إلى صراحتك الحقة ، ولهان إلى نظراتك الدقيقة ، ميّال إلى نفسك الأبية فما أسعدنى ! لو أسعدنا الحظ بالتلاقى بك بعد طول هذا الفراق ، وتقبل التحيات الخالصة من أخيك المخلص ؟

١٧ — لو كانت الأرواح فى هذا الدار تتزاور لخف عبء الشوق وسهلت مشقة الفراق ، ولكان القرب والبعد سيين ؛ ولكنها وهى فى هذا الجسم مسجونة ، لاتنتقل إلا بانتقاله ، لاتتمكن من الشخوص إلى من تحب ، والهجرة الى من تهوى ، لتفوز باللقيا ، والتمتع بالرؤية ، اللهم إلا فى المنام ؛ فان لها سبحاً طويلا ، هذا إذا كان الكرى يزور جفن العين ، والجنب يستقر على الوساد

فما حالى وقد لعب بى الشوق، وأوردنى كل مورد؟ إنى لأجدنى أولى بالرحمة، وأحق بالشفقة، وأجدر ألا يحرمنى سيدى من كتبه الكريمة، ورسائله الحكيمة فإنها تروى ظمئى، وتخفف عنى بعض ما ألاقى من ألم البعد.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يجعل غاية هذا البعد قربه، ويمتعنى بلقائك فى العاجل، إن شاء الله تعالى، والسلام عليك من المحب الثابت على عهدك؟

[عن كتاب الإنشاء]

١٨ — أشكو اليك ما ألقاه من ألم الفراق، وأبثك ما أجد من لوعة الاشتياق وأسألك العطف علىّ والنظر إلىّ، فما شريعة المحبين أن تميل إلى الصدّ، وتنزع إلى السلوّ، بعد استحكام روابط الصداقة، وانتظام عقد الألفة، وبعد أن أسرتَ النفس بمحض كرمك، وحسن أخلاقك، وشريف خصالك. وإنى لأربأ بك أن تعذب نفساً لم تجن ذنباً، ولم تقترف إثما، غير أنها تحفظ لك عهدك، وتصون لك ودك، وتحلك منها محل الروح من الجسد.

وبعد، فسلام طيب، وتحيات قلبية؟

[من المحب المخلص]

١٩ — يود الحبيبان أن يكون بينهما من صلات المودّة، وروابط المحبة، ما يجعلهما كروح واحدة، فى جسم واحد، حتى لا يهجس بقلب أحدهما أن ينفرد عن الآخر، ولا يخطر ببـاله أن يفارقه يوماً ما. فإذا كانت العلاقات ضعيفة، والروابط واهية، كان الحرص على تمكينها أشدّ، والعمل لتوثيقها أكثر؛ أما إذا قويت الرابطة، وتمكنت المحبة، سقط داعى التكليف، وقلّ أمل الحرص؛ لأن النفس ما دامت راضية عن حبيبها، ومطمئنة إليه، كان سؤالها عنه إذا غاب لا يقل عن احتفالها به إذا حضر:

ومن عجب أنى أحن إليهم وأسأل نفسى عنهمو وهمو معى
وتطلبهم عينى وهم فى سوادها ويشتاقهم قلبى وهم بين أضلعى

وكأنى بأخى وقد تمكنت — ولله الحمد — بيننا رابطة المحبة ، وتأكدت بيننا عوامل الصحبة ، وأصبحنا بنعمة الله روحاً فى جسدين ، وقلباً فى جسمين ، لهذا لا أجد من داعٍ لأن أشرح لك ما بفؤادى من عبارات الشوق ، وآيات الودّ ، وأكتفى بأن أقول لك ما قاله الشاعر :

إن كنت تنكر حبى فسل فؤادك ينبى
هواك مالَ فؤادى فى حال بعد وقرب

٢٠ — أخى : أكتب إليك وأنا كلما تذكرتك خنقتنى حبال الفراق ، واستولت عَلَيَّ الأشواق ، حنيناً إلى لقياك ، وعطفاً إلى رؤياك ؛ ولكن ما الحيلة إذا كانت مغالبة القدر مستحيلة ؟ فيا رحمة الله للمصاب ! بفرقة الأحباب ، ويا صاحب الأمر ، جُدْ عليه بالصبر ، حتى تَردَّ إليه أحبابه ، وتزيل مصابه ، فما على الله بعزيز أن يردَّ غربتك ، وييسر لإخوانك وأحبابك أوبتك ، آمين ؟

٢١ — أيها الصديق الحبيب :

لم أكن قبل مفارقتك أحسب للفراق حساباً ، لا يهمنى البعد ، ولا يحركنى الشوق ، ولا يعذبنى القلق . فعزّ عليّ فراقك المؤلم ، وأزعجنى بعادك المضنى ، الذى أحرمنى لذيذ أنسك ، وأذاقنى مرارة بعدك . وكلما تذكرت لطيف حديثك ، وعذب كلامك ، اهتززت شوقاً إليك ، وأسفت كثيراً لمفارقتى إياك . فإليك منى تحية قلبية ، جامعة لمعانى الحب الأخوى ، والودّ الحسى ، أرجو قبولها بما جبلت عليه من اللطف والإيناس . وثق أن بعد الديار لا ينحرف بى عن مودّتك الصادقة ، ولا ينسينى شريف حبك ، كما أن فؤادى لم يقبل غيرك خليلاً ، وفكرى لم يرض سواك بديلاً .

فلا تبخل على أخيك برسائلك السارّة الشافية ، تسكيناً لألم الشوق ، وتلطيفاً لحرارة الفراق .

أعزك الله وأبقاك مثال الإخاء ، وعنوان الإخلاص والوفاء ؟

٢٢ — أخى وعزيزى :

إن يوم فراقك كان يوماً مشهوداً ، لم أرَ فى أيام حياتى يوماً أصعب منه ؛ كما أن ساعة وداعك كانت جامعة لأشد التأثرات القلبية ، حيث ودعتك القلوب بزفرات وحسرات ، حتى سالت العبرات ، ولم تزل الآن تتصاعد من فؤادى مع أنفاسى المحرقة ، وأشواق المتوقدة .

ومن أين لى الفرح وقد فارقتنى ؟ وكيف أسترجع أيام أنسك بعد بعدك عنى ؟ كأن الدهر حسدنا على اجتماعنا ففرق شملنا ، ورد أنسنا ، وعرضنا لآلام الأشواق وهموم الأشجان ، فإن شئت أن تعينني على مغالبة هذه الآلام ، واتقاء هذه الهموم ، فلا تحرمنى من مكاتباتك اللطيفة ، وأخبارك السارّة ، لأطفئ بها لهيب الأشواق ، وأدفع بها ألم البعد والفراق ، حتى يجمعنى الله وإياك فى أسعد الأوقات ، وأحسن الحالات ، ودمت لصديقك المخلص ؟

٢٣ — من طالب إلى والده يشكو إليه ما ناله من الألم والوحشة بعد مفارقته لأول مرة .

سيدى الوالد أعزه الله :

بمزيد الاحترام أقبل يدكم الكريمة ، وألتمس رضاكم عنى . وبعد ، فقد وصلت ولله الحمد سالماً ، ولم أصادف فى طريقى تعباً ولا ألماً ، وإنما شعرت فى نفسى بوحشة شديدة بسبب فراقى عنكم ، الذى لم أتعوده من قبل ، وكنت أودّ أن أبقى فى ظلكم ملحوظاً بنظراتكم المملوءة حبًّا وحناناً ؛ ولكننى فضلت البعد عنكم على القرب منكم ، وإن نالنى من ذلك ألم لا يطاق ، رغبة فى تحصيل العلوم التى أصبحت للمرء فى هذا العصر ، ليس فقط أجمل حلية وأشرف بغية ؛ بل أعظم سلاح لمقاومة العوز والذل فى معترك الحياة ، وإنى سأعمل بنصائح سيدى الوالد ، وسأسلك الطريقة التى رسمها لى حتى أحصل على الغاية المبتغاة ، وأكتسب بإذن الله رضاه ؟

٢٤ — مثال الإخوة ، وإنسان الصداقة :

أبيت أداري الشوق ، والشوق مقبـــل

علىّ وأدعو الصبر ، والصـــبر معرض !

إن الشوق والصبر يتنازعانى ، هذا لإعدامى ، وذاك لوجدانى ، ولـكن الغلبة للأول ، حيث أناله وعليه للفؤاد المعول ، وكيف يقوى على الصبر الحرّ ، وهو كما قيل « أمرّ من المرّ » . وما الشوق إلا انبعاث النفس إلى تمنى اللقاء ، بما يوجد لديها من عناء التنائى ، وما قلوب الأحباب إلا أرقّ من الرقة ، وحافظة الولاء بغاية الدقة ، فليس من الممكن مع رقتها وحفظها الوداد ، أن يكون للشوق معها قدرة على طول البعاد ، خصوصاً وأنت أخ ، هو معنى الاخاء ، وعنوان الوفاء ، فلا غرو إن زاد بى الشوق نحوه . فإنا وإن أصبحنا متباعدين ، فقد اتحدنا روحين ، وانفصلنا جسمين ، سنة الدهر بين جديد وقديم ، ذلك تقدير العزيز العليم . ومثلك يا أخى من طاب عنصره ، وعمّت فى الـكون حسن سيرته ، وطيب سمعته ، واستعمل الرفق والحسنى فى معاملة إخوانه ، فلم أجد سبيلاً للصبر على فراقه ، على أنى صابر بالرغم منى ، علماً بأن هذه الحال لا تدوم . وأن خاتمة البعد قرب ، ولا بد من التلاق ، وإن طال أمد الفراق ، والسلام ؟

٢٥ — من شاب إلى أبيه يشكو إليه ألم الوحشة والفراق

أبى الحنون الشفيق

فارقتك ولم تفارق عينى الدموع الحارة طول مدة سفرى ، وودعتك بزفرات وحسرات لم تزل تتصاعد من صدرى مع أنفاسى المحترقة ، وأشواقى المتقدة ، أسفاًعلى فراقك ، وعلى ابتعادى عنك وعن أسرتى العزيزة ، وقد زادنى تأثراً ما شاهدته ساعة الوداع من علامات الأسى ، وما أظهرتموه نحوى من الإحساسات الأبوية المتناهية فى الرقة والحب ؛ وكلما فكرت فى هـذه الحالة ازددت حسرة ، وذممت الظروف التى

قضت علينا بالانفصال . ولولا نصائحك الأبوية الغالية التى شجعتنى على السفر ، ورفعت فى عينى قدر العلم ، وحببت الى الابتعاد فى طلبه ، لندبت حظى ، وعددت بعدى عنك نفياً ، ووجودى فى المدرسة سجناً ، ولكنى سأبذل جهدى فى الدراسة حتى أحصل باذن الله على النتيجة التى يرتاح لها فؤادك وتعوض عليك النفقات الجمة التى تبذلها فى سبيل تعليمى . وغاية رجائى موافاتى بأخباركم السارة الدالة على تمام صحتكم واتحافى بنصائحكم الثمينة .

وأسأل الله أن يبقى لى حياتكم الكريمة ولا يحرمنى من نعمة وجودكم والسلام عليكم وعلى جميع الأسرة ؟

٣٦ — أيها الخل الوفى

لا أقدر أن أصف لك مقدار شوقى ، وعظيم حبى ، ولا يقوى اليراع على بيان التأثرات الشديدة التى ألمت بفؤادى يوم افتراقنا ، فما أحرج الموقف الذى أنا فيه ! وما أضيق مجال الكلام فى هذا المعنى ! وما أعيى اللسان ، وأعجز البيان ! عن تأدية ما يجول فى النفس من العواطف الحارة النقية التى تهتز لها الروح جذلاً لاتجاهها نحوك ، وابلاغ تسليمانى وأشواقى اليك . واذا كان الزمان الخؤون حكم علينا بهذا الفرق ، فنظرة منك تعزينى ، ومقابلة تحيينى وابتسامة تنسينى همومى ، وتمحو شجونى

واذا كان الأمل ضعيفاً باللقاء نظراً لكثرة أشغالك ووفرة أعمالك فلا تضن على أخيك برسالة أرجوها من كرمك لتكون بلسما لصدرى المكلوم ومرهما لجراح قلبى حتى يمن الله علينا باللقاء قريباً والسلام ؟

٢٧ — شقيق الروح

أرانى اليوم بعد احتجاب طلعتك البهية عنى ضعيف القلب خائر القوى أسيرا لهم حليف الغم أقاسى من تباريح الشوق عذاباً أليما وألماً عظيما وافقد عز تجلدى وضاع

رشدى وصبرى ، ولم يبق لى إلا أن أندب سوء حظى . وإنى كلما تذكرت تلك الأوقات السعيدة التى كنا نصرفها معاً أذوب أسًى وأسفاً .

فإليك أوجه أيها الحبيب شكواى ، ولا أستغيث بغيرك على بلواى ، حتى إذا أنصفتنى ورحمتنى ، تعطفت عَلَىّ بنظرات حنوك ، فإن لى بها أكبر سلوى ، وأعظم معين على معاناة ضربات البعاد . فحقق أمنيتى هذه ، وواصلنى بإفادتك الوافية عن أحوالك ، فتغنم شكرى ، وتستأثر بروحى ، وتنفرد بقلبى وعواطفى ، فقد أوقفتها على حبك ما بقى فىّ رمق من الحياة، وأقبل فى الختام تحيات أخ صديق حميم ، يتمنى لك دوام البقاء ، فى سعادة وراحة وهناء ؟

٢٨ — صديقى الودود

رغماً مما أنا منهمك به من الأشغال ، فلا يبرح لك فى فكرى نظرات تهيجنى شوقاً إليك ، ولا يزال لك فى فؤادى فى كل ساعة جلسة ولاء تتسابق فيها عواطفى الصادقة ، ولولا كثرة شواغلى لحضرت إليك ورأيتك عياناً ما فعل بى الفراق ، وما يدفعنى نحوك من حب التلاق .

ولما كان الوصول إليك متعذراً الآن . فواصلنى بخطاباتك السارة إلى أن يصفو لنا الدهر ، ويسمح لنا بقرب الاجتماع والسلام ؟

٢٩ — أخى الصادق

لقد بلغ بى الشوق حداً لا أستطيع تحمله ، حتى تغلب على صبرى فما أمكنه أن يغالبه ، وزاد بى الوجد شغفاً لا أطيق تألمه، فأصبحت من بعدك فى شواغل كثيرة مؤلمة. وكلما امتدّ بعادك ، وزاد أمد فراقك ، عظم شوقى ، واشتدّ شغفى ولهفى ، حتى صرت إلى قول الشاعر :

ياسادة فى سويداء القلب مسكنكم
وفى منـامى أرى أنى أعانقـكم
أوحشتمونى وعـزّ الصبر بعدكم
يامن يعـــــز علينا أن نفارقـكم

فإلى الله نشكوا فراقنا ، وندعوا لقاءنا ، فهو القادر وحده بأن يجمع الشتيتين ، بعد ما يظنان كل الظن ألا تلاقيا ؟

٣٠ — أخى وعزيزى المحترم

بهذا القلم الذى استمدّ مداده من قلبى المخلص فى محبتك ، الصادق فى مودّتك، أكتب إليك هذا الخطاب لأعبر عما انطوى بين جوانحى من آلام الفراق ، وحار الأشواق ، نحو مشاهدتك ولقائك ، ولأهديك تحياتى الأخوية ، وتسليماتى الودّية ، وأشواقى القلبية ، راجياً التفضل بقبولها ، والتنازل بإفادتى عن صحتك وصحة أنجالك ، متعك الله بهم وجعلهم قرة عين لك ، والسلام عليك من المخلص فى وده ، الثابت على عهده ؟

٣١ — صديقى العزيز

من لى بقلم يقدر على وصف ما ألمّ بى من آلام بُعدك وغيابك ؟ وأين لى بفكر يستطيع التعبير عن التأثير المفرط الكامن فى الفـؤاد من الأشواق التى عمّ تأثيرها جسمى ، وأضعف مفعولها حواسى ؟

اللهم إنى أقتصر على أن أذكرك بأنى على البعد والقرب أخوك الصادق ، وخلك الوفى الأمين ، الحافظ لعهده ، المقيم على ودّه ؟

٣٢ — صديق الصادق

أكتب إليك والله أعلم بما لك فى قلبى من الودّ ، وما هيج أدبك فى فؤادى من الشوق ، و بودّى لو أن عبارة تحمل ما فى نفسى إليك ؛ ولـكن حكمة الله فى قصور العبارات أن يكون الفضل لثقة الـكريم ، وفراسة الحـكيم .

قد يكون لك ظن فيَّ أبطأنى عن مراسلتك هذا الزمن الطويل من فراقكَ ، وحاشا أن يكون تساهلاً فى الحق ، أو تغافلاً عن فريضة الودّ ؟ وإنما هو أسد الحوادث وثب على أوقاتها فمزقها ، وغول الـكوارث انبسط فيها فضيقها . إنى من يوم فارقتك ؛ وأنا لا يستقر لى مكان حتى الآن ، ولم أكاتبك من يوم فراقك لأن المدة تقضت فى سفر وانتقال ، وهذه أول فرصة سنحت لأداء حق المودّة ، وفريضة الأخوة ، ورجائى ألاّ يزايل فـكرك ما اتفقنا عليه ، وسبق الـكلام فيه مراراً ، وأن يرد إلىّ من سيادتك ما يسرنى بسلامة حالك .

والله يسمعنى عنك ، ما أحبه لك ، والسلام ؟

٣٣ — أهديكم خالص السلام والتحية ، ومزيد أشواق القلبية ، وأحمد الله على وصولـكم سالمين ، راجياً لـكم طيب الإقامة ، والعودة بالسلامة ، وأرجو أن تجردوا أنفسكم من المتاعب وشواغل الفـكر ، وتجعلوا هذه الإجازة فرصة لراحة البال ، واستنشاق طيب الهواء ، فى البكور والمساء ، فتخرجون إلى فسيح الغيطان ، قبل بزوغ الشمس ، وقبل غروبها ، لتتمتعوا بجمال الطبيعة فى ثوبها القشيب . متعكم الله بالسرور والرفاهية ، ومنحكم الصحة والعيش الرغيد ؟

٣٤ — لاتكن أيها الأخ فى ريب من شديد شوقى وحنينى إليك ، ولا تطل عهد البعد بيننا ، فقد خاننى الصبر والجلد ، ولا تنس أن راحتى وهنائى متوقفان على رؤيتك ، فعجل بجواب منك ، أطمئن به عليك ، والسلام ؟

٣٥ — أيها الصديق الشفيق

هاك قلبي يمليك عبارات الشوق ، وقلمي يبسط لك آيات الود . أما الشوق فمهما أطلت الكلام فيه فإني لا أقدر على وصفه لك ، فهو وحبك حالّ بكل جسمي ، مؤثر في جميع حواسي ، تحركني لواعجه ، وتؤلمني حرارته . ويكفيك أن تسأل قلبك عن هذا الإحساس الأخوى ، فهو خبير به ، ينبيك عنه « ولا ينبئك مثل خبير »

أما ودادى فهو فوق ما عهدت ولو بعدت الدار ، وشط المزار . وكيف لا ؟ وأنت أخ قد امتاز بالفضل والكمال ، وعرف بين الإخوان بقوة الذكاء ، واتصف بجميل الصفات ، وهما الأمران الوحيدان ، والسببان القويان لربط علائق المودة ، والعمل على دوام الصحبة .

أما سلامى إليك فسلام أخ مشتاق لأخيه ، يدعو الله بأن يطوى أيام الفراق ، ويمنّ عليه بقرب التلاق ؟

٣٦ — أكتب إليك وأنا بمكان طالما ابتهج بودك ، وهو الآن منزعج لبعدك ، يئن لفراقك ، ويتوسل إلى الله فى لقائك . وإن لواعج أشواقى لتختلط بلواعجه ، وأنيني ليشاطر أنينه . فتى يمن الله علينا بلقائك ؟ فنبتهج ونحيي آمالنا ، وينتعش فؤادنا بطلعته البهية ، ونهنأ بهذا الخلق الكريم ؟

٣٧ — أكتب إليك وفؤادى مستوحش لرؤيتك ، متألم لفراقك ، لاهج بذكراك ، مشغوف بعودتك ، فلو كنت قريباً منى لكان هذا كله ممنوعاً ، والعائق مرفوعاً ، والزمان نضراً ، والشمل مجموعاً ، وكنت لك تابعاً ، وكنت لى متبوعاً ؟

٣٨ — إن الوحشة لفراقك ، بقدر الأنس بقربك ، والسرور بمكانك ، وما وهبك الله من اللطف والظرف لإخوانك ، فإنك بحمد الله ممن لا يبخل عليهم بوده ، ولا ينفرد عنهم بنعمته ، ولا يقدم نفسه عليهم فى فائدة .

فأسأله تعالى أن يحسن لك الحال ، وأن يقينا نوائب الأقدار وحوادث الأيام ، وأن يعيدك فى أمان وسلام ؟

٣٩ — مع ما أنا فيه من شدة الشوق لرؤيتك ، أجلك عن أن أقول لك : ترفق بى ، وأحسن معاملتى ، وتنازل بمكاتبتى ، ولا تطرحنى بعيداً عن قلبك ، فأكون بعيداً عن الرحمة ، بعيداً عن الرفق ؛ لأنك أدرى بحالتى ، ويهمك طبعاً راحتى ومسرتى ؛ إنما كتبت لك هذا من باب التذكار ، منتظراً منك سار الأخبار ، فأسعفنى بكتاب منك يخفف عنى بعض ما أصابنى من ألم الفراق ، فيتجدد لى الأنس والسرور بمطالعته ، والسلام ؟

٤٠ — لو كان الفراق يقابل بالمبارزة ، والشوق يقاوم بالمبالغة ، لرأيتنى أكافح الفراق بسهام من الفؤاد ، وأناضل الشوق بحبل الوداد ، فقد أصبحت منهما عديم الصبر ، لا أجد من يعيرنى التسلية ، و يقرضنى الأمل ، فترانى فى موقف حرج ، لا ينقذنى منه إلاّ رسول ودك ، وأمين عهدك ، الذى يقوى عزيمتى ، وأبلغ به حظى و بغيتى ، والسلام ؟

٤١ — لكل عين نور ، ولكل قلب سرور ، ولكل روح ترويح ، ولكل نفس تفريج ، وكأنى بك أيها الصديق وقد أودع الله فى شخصك نوراً لعينى ، وفى حديثك سروراً لفؤادى ، وفى صفاتك ترويحاً لروحى ، وفى كرم خلقك تفريجاً لنفسى . فمذ غبت عنى غاب عن عينى ذلك النور ، وقلبى فارقه السرور ، ومنعت

روحى من ترويحها ، ونفسى من تفريحها . وما زلت أترقب شروق الأنوار ، وأتنسم سار الأخبار ، حتى عزّ الطلب وقلّ الاصطبار ، فجعلت لسانى ترجمان جنانى ، وقلمى معرباً عما بقلبى ، لعلك تجود بالجواب ، فأطمئن على الجناب ، وأتسلى بالخطاب ، حتى أراك ويجمعنى الله وإياك فى هناء وسرور ، ودمت للمخلص ؟

٤٢ — بودّى أن أكتب إليك طويلاً لأبث مزيد أشواقى الودّية ، وتحياتى القلبية الأخوية ، لولا قلمى الأصم الأبكم ، وفكرتى الجامدة ؛ فأكتفى بهذه العبارة ، فاللبيب مثلك تكفيه الإشارة ؛ وإنى أتمثل بقول الشاعر :

ولو أنى كتبت بقدر شوقى   لأفنيت الصحائف والمدادا

ولكنى اقتصرت على سلام   يذكرك المحبــــة والودادا

والسلام ، فى المبدإ والختام ؟

٤٣ — عزيزى :

الشوق تسلط عَلَىّ ، والوجد تمكن منى ، والصبر خاننى ، وغدر بى الزمان ، فألحق بى الحرمان ، وجرعنى بمفارقة الإخوان كأس الهوان ؛ ولقد قلّت حيلتى ، فأنت وسيلتى ، أدركنى بخطاب منك أخفف به ألم الشوق حتى يعيدك الله فى سلام وأمان ، ممتعاً بصحة كاملة ، لأكون بقربك فى مسرة شاملة ، والسلام ؟

٤٤ — فارقتنى ففرقت بين أنسى ونفسى ؛ بل بين روحى وجسمى ، وصرت كما قال الشاعر :

جسمى معى غير أن الروح عندكم   فالروح فى غربة والجسم فى الوطن

يستعجب الناس منى أن لى بدناً   لا روح فيــه ولا روح بلا بدن

فلا تعجب إذا كنت أغدو وأروح ، فالطير يمشى من الألم وهو مذبوح ؛ فأرجوا الله أن يعيدك قريباً ليعود لى بك الأنس ، وتستريح النفس ، والسلام ؟

٤٥ — أشكو إلى الله ثم إليك ما ألاقيه من بعدك ، وأقاسيه من ألم فرقتك ؛ ولشديد شوقى إليك ، ومزيد شغفى بك ، أتخيل صورتك فى مرآة القلب والفكر ؛ فنحن وإن كنا فى الظاهر على افتراق ؛ ولكننا فى الحقيقة على اتحاد ووفاق .

خيالك فى التباعد والتدانى　　وشخصك ليس يبرح عن عيانى
وشوقك فى الجوارح مستكن　　وذكرك لا يفارقه لسانى

فلئن افترقت الأشباح ، فلقد تعانقت الأرواح ، ولعلك تكون وجدت فى سفرك من جودة الهواء وحسن المنظر ما طاب له خاطرك ، وانشرح منه فؤادك ، وحسنت به صحتك . وهذا ما أرجوه لك على الدوام ، والسلام ؟

٤٦ — إنى لبعدك وطول فراقك مفارق الراحة ، غائب الفكر ؛ ولتغيبك عن نظرى عليل النظر ، سقيم الفؤاد ؛ وإنى معتقد بأن تلك الإحساسات متبادلة بيننا ، لاتحادنا فى الروح والشعور والوجدان . فيا أخى أسفى لفراقك زائد ، وشغفى بعودتك عظيم ؛ وبما أنى بعيد عن الوصول إليك ، فقد عاهدت نفسى بموالاة المراسلة ، ولعلك لا تضن عَلَىَّ بمثلها ، حتى نحظى بالمقابلة ؛ قرب الله أوقات اللقاء ، وأبقاك فى راحة وهناء ، والسلام ؟

٤٧ — فارقتنى فأخذت معك شطراً من قلبى ، وقبساً من نور عينى ، وأفرغت صبرى ، وصيرتنى حائراً فى أمرى ، فإلى الله أشكو فراقنا ، وأدعو لقاءنا ، فهو قادر أن يجمع الحبيبين ، ويطوى شقة البين ؟

٤٨ — ما وَجْدُ الغريب عند فراق الوطن ، والروح عند مفارقة البدن بأكثر من وجدى لفراقك أيها العزيز . فلقد استوحشت لغيبتك وحشة نسيت بها نفسى وأهلى ، إذ كنت أكبر همى فى راحتى وشغلى ؛ فأشكو إليك من ألم الوحشة ، ما لا يشعر به إلا من ذاق حلو أنسك ، وعرف مقدار نفسك ، فلقد كانت ساعات قربك سروراً ، ومجالس أنسك نوراً وحبوراً .

فأسأله تعالى أن يجمع ما تفرق ، ويعيد لنا أوقات المسرة والهناء بعودتك سالماً ، وبرؤيتك وأنت للصحة والعافية غانماً ، والسلام ؟

٤٩ — ما وَجَدَ آدم من الندامة ، عند خروجه من دار الكرامة ، ولا لقى يوسف فى غيابة الجب ، ولا حزن يعقوب من كآبة الحب ؛ أكثر مما وجدت من الندامة عند فراقك ، ولقيت من الأسف لغيابك ، ومن الحزن للبعد عنك ؛ ولكن لا حول لنا ولا حيلة غير الصبر ، والابتهال لصاحب الأمر ، بأن يطوى شقة البعد ، ويعيدك مقروناً بالسلامة والصحة ؟

٥٠ — ما غائبٌ بعد عن الديار — لا يسمع عنه خبر ، ولا يعرف له أثر ، حتى إذا يئس من عودته أهلوه ، وتناساه أخصاؤه ومحبوه ، رد إلى وطنه ردّ الشمس بعد كسوفها ، وردّ الوفى الأمانات إلى أهلها ، فأولمت له الولائم ، وأقيمت له الأفراح — بأكثر منى شوقاً إلى أهله وإخوانه ، ولا أعظم منى شغفاً برؤية أصحابه وخلانه . فأسأل الله أن يرينى وجهك قريباً فى خير ، والسلام عليكم ورحمة الله ؟

٥١

إذا وصف الناس أشواقهم فشوقى لوجهك لا يوصف

شوقى إليك لا يخفى عنك ، وإنى لحافظ لك العهد ، مقيم على الودّ ، فلا تبخل

على أخيك برقيق مراسلاتك ، حتى تعود فنستغنى بالمقابلة ، عن المراسلة ، وبالمشاهدة ، عن المكاتبة ؟

٥٢ — شوق إليك شوق أخذ بقلبي وفكرى ، ولم يقو عليه صبرى ، فلا ينطفىء إلا برؤيتك ، والتمتع بأنوار طلعتك . أسأله تعالى قرب لقائك ، وأن يجمعنى على بساط الهناء والرفاهية معك . والسلام ؟

٥٣ — يدعونى الواجب إلى مكاتبتك ، ويدفعنى الأمل إلى لقائك ، فياشوقى إليك ! ويا أسفى على فراقك ! فتقبل ـ غير مأمور ـ فروض التحية القلبية ، ممن رضى بالمراسلة ، بعد المقابلة ، رضا العاجز عن الوصول إليك ! وسلام الله ورحمته وبركاته عليك ؟

٥٤ — أخى ـ قد عظم الشوق ، ونفد الصبر ، وأصبحت فى شغف زائد للقائك ؛ حقق الله أمل رؤيتك ، وأسعدنى بسلامة عودتك فى القريب العاجل إن شاء الله تعالى ؟

٥٥ — أكتب إليك وأنا شغف بلقائك ، ولع برؤية محياك ، فصلنى بحبل مودتك ، وسكن روعى ، وأرح خاطرى بمكاتبتك ، وأقبل أزكى سلام أرضاه وترضاه ، وشوقاً بالغاً منتهاه ؟

٥٦ — صديق الصادق

رحلت عنا فتجلدنا لرحيلك ، لأننا لا نستطيع فراقك ، وهكذا الدنيا اجتماع وافتراق ، فعسى الأيام تجمعنا قريبا وتطوى شقة البين والفراق

سألت القلب عن تلك الأيام والليالى التى قضيناها بجانبك ، هل كانت أيام أم

ساعات ؟ فقال القلب : هي مرت عجالاً كدقائق فما أحلى قربك ! وأمر بعدك ! وما أعظم شوقي لرؤيتك ! والتمتع بأنوار محياك !

أسأل الله أن يردك لوطنك قريبا ، لنحظى بقربك ، ونتمتع بأنسك ، والسلام ؟

٥٧ — أزف كتابي هذا لأخي الصادق ليدنو من الوجنات فيقبلها ، ومن الأذن فيبلغها أشواق القلبية ، وتحياتي الودية ؛ ومن اليد فيلتمس منها جواباً شافياً ، وودّاً صافياً ؟

٥٨ — يا رسالة الود ! قفي بباب الصديق مسلمة عليه ، معربة عن بعض أشواقي إليه ، ولا تسأليه في جواب إلى الصديق الحميم ! بل اكتفي بترتيل قول الشاعر الحكيم :

منى السلام على من لست أنساه ولم يمل لساني قط ذكراه
إن غاب عني فإن القلب مسكنه ومن يكون بقلبي كيف أنساه

٥٩ — سلاماً وشوقاً واحتراماً . وبعد ، فعرفني وقتاً أجدك فيه خالياً لا تزاحمني فيه الألسن على محادثتك ، ولا الأعين عن النظر إليك ، لأقضي حق المودة ، وآخذ بثأر الشوق ، وأريح النفس ، وأجدد برؤيتك السرور والأنس ؟

٦٠ — أخي - لقد زرعت في قلوبنا مودتك ، فتعهد زرعك بدوام مكاتبتك ؛ حتى تحيا برؤيتك القلوب ، وينمحي بقربك المكتوب ؟

٦١ — قد دعتني الأخوة الصادقة ، والمحبة الخالصة ، بتحرير هذه الأسطر وإن كانت لا تكفي في التعبير عما في الفؤاد من عظيم الشوق ، لتناشدك إخلاصي في ودادي ، وتهديك سلامي من صميم فؤادي . فمهد لها من لدنك القبول ، فهو لي غاية المأمول ؟

٦٢ — إليك أشواقاً لا تجد محلاً لبث لواعجها إلا إليك ، وتحيات لا تليق إلا بك ، يزفها إليك صَدِيق صِدِّيق ، صادرة من قلب شفيق ، يتمنى من الله قرب اللقاء ، و يدعو لك بطول البقاء ، فى طيب عيش وهناء ؟

٦٣ — مازلت أدافع النفس فيما تتقاضانى من شكوى أشواقها إليك حتى غلبتنى ، فاتخذت هذه الرقعة وفيها من شديد الشوق ما يكاد يطير بها بين يديك . فأرجو أن تقابل بما عهد فيك من صادق الإخاء ، وأن يصانى على أثرها ما يكون فيه ترضية للنفس ، وراحة للفؤاد ، وجبراً للخاطر ، حتى أراك ، وأتمتع بأنوار محياك ؟

٦٤ — هزتنى عوامل الشوق ، ودفعتنى يد الأخوة ، فتناولت القلم لأصف لك ما بفؤادى من شديد الميل إلى طلعتك ، والشغف بقرب لقائك ؛ ولكن أرى القلم يعثر ، والفكر مقصر عن الافصاح عما بضميرى الذى ملئ عطفاً عليك ، وما بصدرى الذى ضاق بكثرة الشوق إليك . فلندع التعبير إلى القلوب فهى تناجى بعضها بعضاً ، وكفى بها خبيراً ؟

٦٥ — صفيي وخليلى

فكرى من بعادك يستجير ، وشوقى إليك غزير ، وقلبى عندك أسير ، وعينى لرؤياك نشير ، وروحى كادت للقائك تطير ، فها هى مع الخطاب إليك تسير ، تنادى ربها قائلة : يالطيف ياخبير ، قرب لنا يوم العودة والمسير ، فإنك على كل شىء قدير

لعمرى ما نسيت لكم وفاء   وما قلبى ببعدكمو صبور
ولكن الأمور لها حدود   مقدّرة ويعلمها القدير

٦٦ — أخى

لقد عزّ علىّ والله بعادك ، وعظم عندى فراقك ؛ ولكن مهما ابتعدنا وافترقنا جسما ، فلم نبتعد قلباً ومحبةً ووداداً ، كما قال الشاعر :

إن التباعد لا يضر إذا تقاربت القلوب

و إنى أدعو لك بالسلامة ، فى الذهاب والإقامة ، وأن يعيدك الله سالماً غانماً وسلامى عليك ، بمقدار شوقى إليك ؟

٦٧ — أخى ـ لو علمت مقدار ما عندى من الشواغل لبعدك ، لبادرت بإرسال خطاب منك أطمئن به عليك ، و يخفف عنى ما أنا فيه من ألم الوحشة وشدّة الشوق . أسأله تعالى أن يجمعنا عن قريب ، فإنه لنداء المحب سميع مجيب ؟

٦٨ — أخوك الذى وافاك بعهده ، والمخلص الوفىّ الذى أخلص إليك ودّه ، وحبيبك الذى سلمك قياد حبه ، وأسكنك فؤاده ولبه ، يبث شوقه العظيم إليك و يرجو مراسلتك ليطمئن بها عليك ، و يسأل الله سلامتك ، وقرب عودتك ؟

٦٩ — أخى لو تذكرت خالص مودّتى إليك ، وشدّة شغفى بلقائك ، لشعرت الآن ، كما أشعرنى نفسى ، بأنى لا أزال أودّك بقلبى ، وأطوف حولك بروحى و إن كنت فى احتجاب عنك لا ترانى ، ولا أراك ، وجسمى بعيد عنك ، ففكرى ، فى الحقيقة متنقل معك . فبحق الأخوّة لا تنسانى ، فأنا لا أنساك ، وأراك بقلبى كما كنت أراك ، فأنت كما قال الشاعر :

خيالك فى فكرى ، وذكرك فى فمى وشخصك فى قلبى ، فأين تغيب ؟

٧٠ — أخى - لو أردت أن أصف إليك حالتى لما وصلت إلا بمزيد الجهد لشرح إحساساتى الودية ، وأشواقى القلبية نحوك ، وأنت فى غنى عن هذا الشرح فسل عن ذلك قلبك الذى يشعر بمودّتى ، وإخلاصى فى محبتى ؟

٧١ — أخى - إن الذى يؤلمنى من فراقك ، حرمانى من مشاهدة آدابك والاقتباس من أنوار علمك وفضلك ، وتعرف الصواب من صائب رأيك وإنما الذى يخفف عنى ألم البعـد عنك ، هو أن أكون بمكان من فكرك ، وأصيب حظا من مراسلتك . وجدير بكرمك أن تصل واصلا ، وتجيب سائلا ، وسلامى عليك وعلى أفراد أسرتك ؟

٧٢ — بيد الأخوّة الصادقة ، والمحبة الخالصة ، أكتب إليك هـذه الأسطر لعلها تناشدك أمانتى فى ودادى ، وتبلغك شكواى وتألمى من طول بعادك عنى وشغفى بعودتك ، واشتياق لرؤياك . وإنى على يقين بأن إحساساتك القلبية فى غنى عن مثل هذه الشكوى . فبحق الأخـوة لا تنسانى . واجعلنى من جهتك فى أمان واطمئنان ؟

٧٣ — لا أدرى أين للقلم أن يرسم عبارات الشوق إلى طلعتك البهية ؟ أو يعرب عن عواطف الميل والحنوّ التى تهزنى فى كل دقيقة إلى رؤيتك . لأنى - وحياتك - أصبحت لبعدك حليف شجن وغرام ، وأليف كمد وهيام ، وصرت ألهج بذكرك ، وأحن إلى لقائك ! ولـكننى صابر على مضض الفراق ، طامع بقرب اللقاء إن شاء الله والسلام ؟

من الخامس

٧٤ — أخى - لست أدرى بأى لسان أتكلم ، أم بأى قلم أكتب ، وقد عظم الشوق ، ونفد الصبر ؟ وأرانى إن سكتُ نسبت إلىّ التقصير ، وإن

تكلمت لم أجد من العبارات ما بنى بالقصد . فليت شعرى ماذا أصنع فى شوق أنا مدفوع إليه بعامل الحب الأخوى ، والود الخالص ؟ لا أجد غير الامتثال ، والصبر على كل حال ، وغاية ما أقول : إنى لمشتاق إليك ، فأرجوك دوام إخبارى عن صحتك لأطمئن عليك ، والسلام ؟

٧٥ — شقيق الروح

بينما أنا مضطجع فى حجرة نومى ولست بنائم ، ومفكر فى حالتى ولست بغافل ، إذ هجم علىّ الليل ، بهواجسه وأحلامه ، فأخذ يطوح بى فى عالم الأفكار ، و يقذفنى فى بحار من الأوهام والأخبار ، حتى قلقت من نومى ، وتنبهت وأنا فى منامى لا فى يقظتى ؛ فخيل إلىّ أن بجانبي الشوق والوجد ، ومن ورائهما جيش الفراق والبعد ، فأخذت أتحايل وأتمايل حتى قبضا علىّ ؛ فلم أجد نصيراً لدىّ ، فضاع منى الرشد ، وخاننى الصبر والجلد ، وصرت أبكى وأنوح ، حتى طارت منى الروح ، مخبرة أنها سائرة إليك ، لتحظى بالمثول بين يديك ، فتشخص أمامك حالتى ، وتشرح قصتى ، وتشكو إليك عذابى وفُرقتى ، وتستغيث من بعدك ، وتستنجد بقربك .

فها هى آتية إليك ، فاستقبلها وأودعها عندك فى المودع المأمون ، وأشفق عليها شفقة الأخ الحنون ، فهى وديعتى عندك لحين عودتك ، حتى أحظى برؤيتك ، فتعود الروح للجسد ، ويزيد السرور والأنس ، ويطيب الخاطر ، وتنشرح النفس ، والسلام ؟

٧٦ — أخى ـ ما ذا أقول والشوق قد استولى على الفكر ، وأخذ بمجامع الفؤاد ؟ وماذا أقدمه من عبارات التحية والتسليم ، وقد ضاق أمامى باب التعبير ، واعترف القلم بالتقصير ؟ فمنى عليك السلام على الدوام ، وصباح الخير فى كل صباح ،

وأسعد الله مساءك فى كل مساء ، ونوم العافية إذا نعست ، وصح نومك إذا استيقظت ، وهنيئاً إذا أكلت وشربت ، ونعيماً إذا اغتسلت ، ومبارك إذا لبست جديداً ، وكل عام وأنت بخير إذا استقبلت عيداً ، ومع السلامة إذا تعبيت ، وأهلاً وسهلاً إذا رجعت ، وقدوم سعيد إذا قدمت ، وبالرفاء والبنين إذا اقترنت ، وحج مبرور إذا طفت البيت الحرام ، وتشرفت بزيارة المصطفى عليه الصلاة والسلام ؟

٧٧ — صديق المخلص :

لما حكم علىّ حاكم القضاء ، رب الأرض والسماء ، بهذا التنائى ، رفعت شكواى إلى محكمة الأقدار القضائية ، لتنظر فى هذه القضية ، وقدمت إليها أوراق دعوتى ، وشرحت بها تفصيل حالتى ، فأعلنتنى بالحضور ، لسماع القدر المقدور . فلما حضرت الجلسة ، وأنا فى حالة بائسة ، تليت الأوراق ، فقامت الأشواق ، وانبرت تدافع عما يقاسى من ألم الفراق ، وقربت من القاضى ، وقصت عليه حالتى فى الحال والماضى . وبعد أن أفاضت فى الكلام ، وهيجت من شدة تأثيرها الأرواح والأجسام ، وأبكت العيون ، حتى جذبت كل قلب حنون ، طلبت الحكم على الصبر الذى خان ، والفراق الذى شمل الإخوان ، وأودع فى قلوبهم النيران ، بردّ الأمانة إلى أهلها ، وإعادة المودّة إلى سابق عهدها .

فقام الصبر على قدم وساق ، مدافعاً عن الفراق قائلاً : طالما تغلبت علىّ الأشواق فقاومتنى ، وألزمتنى بمداومة الاصطبار فغلبتنى ، ولما لم أستطع لشدتها وغلبتها ، تركتها فى نيران الفراق تشتعل ، وبالأفكار تشتغل .

فلما اعترف الصبر بعجزه ، وأقرّ بذنبه ، قامت المحكمة القضائية ، وأصدرت حكمها بما تراءى لها ، وقالت :

بعد الاطلاع على أوراق الدعوى المقدمة من المحب المخلص المشتاق ، ضد الصبر والفراق .

و بناء على القرار الصادر من محكمة القضاء والقدر

حكمت المحكمة

على الصبر الخائن بالتجلد على مقاومة الأشواق ، و إقامة دعوى فرعية على الفراق المرّ المذاق ، بالرحيل ، وعدم التطويل ، و إلزامه بدفع اللقاء ، ليطوى شقة البين و يخمد نيران الاشتياق

فامتثلت لهذا الحكم ، وسلمت نفسي للقضاء والقدر ، ودعوت الله بأن يقرب لنا هذا اللقاء عن قريب ، إنه سميع مجيب ، والسلام ختام ؟

أخوك
اغمامى

٧٨ — صديق وعزيزى

لما سئمت طول البعد والفراق ، وزادت بى لوعات الوجد والاشتياق ، دعوت لجنة من الأطباء ، لتشخيص هذا الداء ، وعرضت عليها نفسي ، وشرحت أمامها ما ألم بجسمى ، فأخذت تفحصنى ، وتقلبنى على جانبيّ ، والشوق غالب عليّ ، وصارت تعللنى بالآمال وتشرح لى كيف الحال ، والمآل فى الاستقبال ، وقررت بأننى مصاب بضائقة صدرية ، ناشئة عن آلام عصبية فراقية ، يصحبها نزلة قلبية ، ناتجة من آلام شوقية ، وحددت لمعالجتى مدة شهرين ، وألزمتنى بعاطاة شراب الاصطبار ، والتغذى من ثمار الأخبار ، وعدم مبارحة قاعة الانتظار ، حتى تعود مملوءاً بالصحة ، مغمورا بالعافية مصحوبا بالسلامة ، فأنت مع هذا التنائى دائى ، وفى عودتك وقربك دوائى وشفائى .

وإنى معك كما قال الشاعر :

أحبـــة قلبى عللونى بنظرة　　فدانى جفاكم والوصال دوانى

والسلام فى المبدإ والختام ؟

أخوك

الطبيب

٧٩ — سيدى – مركز دائرة السيادة ، ومحور كرة السعادة .

أهدى إليك سلاماً يبرهن على إثبات المحبة ، ودعوى المودة ، ويعرب منشوره عن وداد قلب مخروط بسهام البعاد ، وعن شوق مخبأ فى زوايا الصدر ، لا تحصره أقطار ولا أبعاد ، لو وضع على الأهرام لانبسط على مستوى الغبراء ، أو على البسيطة لارتفعت إلى قطب السماء ، فهو كما قال الشاعر :

والشوق أوضح من أنى أبرهنه　　كالشمس تغنيك عن إثبات برهان

كيف لا ، والسعيد هو المماس لمحيط دائرة محبتك ، والعاكف على الدنو من شريف خلتك .

ومهما بعدت نقطة التقابل بيننا ، فلنا من رسائل الشوق تماثل وتبادل ، وإذا افترق الجسمان ، فهما فى الحقيقة مجتمعان ، فى دائرة واحدة .

كأن الحب دائرة بقلبى　　فحيث الابتداء الانتهاء

وشوقى إليك كدائرة لم يدرك لمحيطها غاية ، ولم يوقف له على نهاية ؛ لأنه ما من يوم يمر على إلاوشكل طيفك مرسوم فى مخيلتى ، وأويقيات اجتماع الشمل لا تتحرك من مركز فكرتى .

طوى الله شقة البعاد ، وقرب وجودنا فى مستوى نسمع فيه صرير الأقلام ،

وجعل محبتنا متماثلة بالنسبة لجمود الألفة ، ووددانا وارتباطنا مستقيمين متوازنين ، لا يقطعهما قاطع مدى الأزمان والسلام

أخوك

المهندس

٨٠ — قال أحد الشعراء فى وصف الشوق لأحبابه :

لست أنسى الأحباب ما دمت حيا ... مذ نأوا للنوى مكاناً قصيا

ولذكراهم تسيح دموعى ... كلما اشتقت بكرةً وعشيا

وأناجى الإله من فرط وجدى ... كمناجاة عبده زكريا

وهن العظم بالبعاد فهب لى ... ربِّ باللطف من لدنك وليا

قد فرى قلبى الفراق وحقاً ... كان يوم الفراق شيئاً فريا

واختفى نورهم فناديت ربى ... فى ظلام الدجى نداء خفيا

لم يك البعد باختيارى ولكن ... كان أمراً مقدراً مقضيا

٨١ — أخى

من الناس من إذا مسه طائف من الشوق أخذ يصف الشوق ويطريه ، ويعيده ويبديه ؛ ولكنى والحمد لله أصبحت من الشوق إليك على حال تقصر العبارة عن وصفه ، فحسبك أن تعلم أنى مشتاق إليك ، وسلام الله ورحمته عليك

٨٢ — أيها الحبيب :

لقد حسدنا الدهر على النعمة التى كنا نتمتع بها أيام اللقاء إذ كنا فى ربوع الأنس ومواطن الطرب نتبادل آيات الوُد ونتجاذب أطراف الحديث الرقيق فقضى علينا بالفراق ، وحرمنا نعمة التلاق ، وأشعل فى قلوبنا نار الاشتياق. فرأيت أن أتخذ

لمقاومته سلاحاً ماضياً ، وسهماً صائباً ، أرد به كيده فى نحره ، حتى لايبلغ منا وطره ، فلم أجد إلا رسمك الجميل الذى يبدو بنوره فيزيل عن عيوننا غشاوة الوحشة ، ويكشف لنا عن آيات الحب والود ، ويكون لنا برؤيته أكبر عزاء وأعظم سلوان ، فإذا تكرمت على أخيك المخلص الأمين أعطيته سلاحاً يحارب به غدر الزمان ، ويستعين به على هذا الهجران ، وغرست فى قلبه آثار عطفك وحنانك ، وخففت عنه آلام الشوق وتباريح الفراق ، حتى يجمعنى الله وإياك فى أسعد الأوقات ، والسلام إلى ساعة اللقاء ؟

أجوبة مكاتبات الشوق

١ — أخى كيف أروى ظمأك إلىّ منى ، وأنا أشد ظمأ إليك منك ، فالتلاق أروى لغليل النفس ، وأجلب لما شرد من الأنس ، وها أنا قد هيأت كلى للقائك ، وبشرت روحى بالاستمتاع بحديثك ، وهنأت نفسى بتشريفى بين يديك ؟

٢ — جاء كتابك العزيز فكان له رنة سرور وفرح فى فؤادى ، وقد خفف عندى بعض ما أنا فيه من ألم الفراق ، وحرارة الاشتياق . ففى رسائلك راحة لضميرى ، واطمئنان لخاطرى ، فوحبك لا تقطعها عنى ، وتقبل خالص التحية منى ؟

٣ — حظيت بخطابك الرقيق ، أيها الصديق ، فأعرب لى عن شوقك إلىّ ، ومقدار عطفك علىّ ، وإنه بعض مما عندى ، وقليل عما يطويه إليك قلبى . فجزاك الله عنى خيراً ، ومنى عليك كثير السلام ، المشفوع بالشكر والاحترام ؟

٤ — جاء كتابك منبهاً لأشواقى ، محرضاً لودادى ، فلم يزدنى شوقاً لامتناع المزيد ؛ ولكن أتانى من أنفاسك الطاهرة ، وآثارك الفاخرة ، فلسانى يلهج

بذكرك ، وقلبي مملوء بحبك ، حضرت أو غبت ، قعدت أو قمت ، والسلام عليك ؟

من المحب المشتاق

٥ — تناولت كتابك العزيز ، وقابلته بما يليق به من التكريم ، ووددت لو كان فى وسعى حفظه فى سويداء القلب ، ليقاوم حر الشوق الذى زاد عن الحد ؛ ولكن حفظته بين كتبي كما يحافظ على الدرة الثمينة ، شاكراً نعمة ودك ، وصادق عهدك ، راجياً حسن تعطفاتك علىّ ، ووصول كتبك إلىّ ، والسلام ؟

٦ — جاء كتابك يصف لى مقدار شوقك ، ويهديني سلامك . أما ما سردته من وصف الشوق فكأنك استعرته من جنانى ، وترجمته عن لسانى ؛ أما السلام : فسلمك الله وحياك ، وأسعدنى برؤياك ، وزاد فى عزك وعلياك ، وحفظ عليك دينك ودنياك ، ولا أحرمنى من لقائك . آمين ؟

٧ — كنت أود أن أكون السابق فى المراسلة ، والمبادر بالمكاتبة ؛ ولكن أبى الله إلاَّ أن تكون صاحب الفضل المتقدم على أخيك بالجميل ، ليكون لك الشكر الجزيل ، وسلامى عليك ، بمقدار شوقى إليك ؟

٨ -- قد أحسنت المقال ، فكنت لى فى كلامك خير مثال ؛ نعم يهمنى بل يسرنى راحتك ، واعتدال صحتك ، فأنا مرآة حالتك : تسرنى مسرتك ، وتسوءنى إساءتك ، وإن كنت كتبت لى من باب التذكار ، فنعم الاعتبار والوقار ، فكن على يقين من أنك « على فكرى » لا أنساك ؛ بل على الدوام أذكرك بقلبي ولسانى وإليك شكرى وخالص امتنانى ؟

٩ — وصلنى كتابك فكان لنار أشواقى برداً وسلاماً ، ولشدة مشغوليتى راحة واطمئناناً ، ولنظرى نوراً ساطعاً ، ولسمعى حديثاً مسلياً ، ولمجلسى أنيساً مفيداً ،

وحميراً مجيداً ؛ ولكن مع هذا كله لا يتم أنسى إلا برؤيتك ، ولا يكمل سرورى إلا بمحادثتك ومؤانستك ، نسأله تعالى أن يجمعنا عن قريب ، فالأمر منه وإليه واللقاء نصيب ؟

١٠ — أشكرك كل الشكر على حسن سؤالك عنى ، فإنى ولله الحمد بخير ، لا ينغص عيشى ، ولا يقلق راحتى ، سوى بعدكم عنى ، فإن أنتم وجدتم أنيساً فإنى لم أجده ، ولا غرو فإن شوقى إليكم أعظم مما وصفتم

أسأله تعالى أن يجمع شملنا ، و يعيد أنسنا ، ويديم المودة بيننا ، ويكتب السلامة علينا ، ويصل الخير إلينا ، إن شاء الله ؟

١١ — أخى ، لو علمت مقدار ما حصل لى من الفرح والسرور عند تلاوة كتابك لما قطعت كتبك عنى ، ولو تصورت الحالة التى أنا فيها الآن : أناجيك بقلبى وأكتب إليك بقلمى ، لقدرت كم يكون عظيم شوقى إليك ، وشديد شغفى بك . ولو تذكرت صادق مودتى ، وإخلاصى فى محبتى ، لشعرت بأننى على الدوام أتمنى قربك ، وسلامة عودتك . فتفضل بقبول ما ينبئ عن خالص ودى ، وصادق عهدى ، والسلام ؟

١٢ — تناولت بيد الشكر والمنة خطابك ، وتلوته بفرح لا يوصف ، لعلمى بأنه من حبيب صديق ؛ بل من أخ شقيق ، عهدت بينى وبينه حفظ الوُد ، وإن طال أمد البعد ، فهاك قلبى يمليك عبارات الشوق ، وقلمى يبسط لك آيات الوُد.

أما الشوق ، فمهما أطلت الكلام لا أقدر على وصفه لك تحركنى لواعجه ، وتؤلمنى حرارته ، ويكفيك أن تسأل قلبك ينبئك عنه ، ولا ينبئك مثل خبير .

وأما وُدى فهو فوق ما عهدت ، مهما بعدت الدار ، وشط المزار . فأملى دوام المكاتبة بيننا لنطمئن عليك ، ويستريح بالنا من جهتك ، والسلام فى المبدأ والختام؟

١٣ — ولدى العزيز وغاية أملى

أحييك تحية الأب الذى يريد لك السعادة والهناء ، وأهديك شوق والد لايرجو من الدنيا سواك .

وبعد ، فقد وصلنى مكتوبك ، فلما تلوته طرت فرحاً وسروراً ، وسجدت لله شكراً لسلامة وصولك ، واعتدال صحتك ، وتذكرت عند وروده قول الشاعر :

ورد الكتاب فجاءنى بمسرة ونفى عن القلب المشوق كروبا

فكأنه موسى أعيد لأمه أوشخص يوسف إذ رأى يعقوب

ومهما بعد المزار ، ونأت الديار ، وطالت الفرقة ، وزادت الوحشة ، فإنى لبعدك صابر ، ولحكم الله راض ، كل ذلك فى سبيل رقيك ، وعلو شأنك . فلا تجزع لبعدك عنا ، واصبر صبر أولى العزم ، فما هى إلا أيام تمر ، وأعوام تكر ، ثم تعود بمشيئته تعالى متحلياً بالعلوم والمعارف ، حائزاً قصب السبق على إخوانك ، متمتعاً بالصحة والهناء .

وفقك الله لصالح الأعمال ، وأصلح لك الحال ، فى الحال والاستقبال ، ودمت .

لوالدك

الخامس الأمين

١٤ — سيدى الأخ المحترم

وافانى كتابك العزيز ، فأهلاً بأكرم رسول جاء ببينات الإخلاص والوفاء ، مصدقاً لما بين يديه من ذمة الوُد والإخاء ، يتلو علىّ من حديث الشوق ما شهد بصحته سقمى ، وهتف مؤذنه فى كل مفصل من جسمى ، ويذكرنى من عهدك ما طالما أذكرنيه البرق إذا لمع ، والبدر إذا طلع ، والقمرىّ إذا سجع ، وإنما عدانى عنك ما أنا فيه من مجاذبة الشواغل ، ومساورة البلابل .

وفى القلب ما فى القلب من شجن الهوى

تبدلت الحـــــالات وهو مقيم

وأنا على ما بي من غل البنان ، وشغل الجنان ، ما زالت أنباؤك عندي لا يخطئني بريدها ، ولا ينقطع عني ورودها ، أهنئ النفس منها بما تتمنى لك من سلامة لا يرث لها شعار ، وإقبال لا يعترضه — بإذن الله — إدبار .

وقصارى المأمول في كرمك ، أن تعاملني بما سبق لك من جميل الصلة ، إلى أن يمن الله بالاجتماع ، ويغني بالعيان عن السماع ، وما ذلك على الله بعزيز ؟

ابراهيم اليازجي

١٥ — أخي الفاضل

قرأت كتابك الكريم ، فوقفت أمامه حائراً صاغراً لشدة بلاغته ، وقوة براعته . ورأيت كله يدور في باب الشوق والهيام ، فتهت عجباً ، وملت طرباً ؛ ولكن معاذ الله أن تأخذني العظمة ، وتطوح بي الأوهام ، فأعتقد في نفسي بأنني ذلك القمر الذي تتخيله ، أو الروض الذي تتمثله .

وما أنا إلا بشر مثلك ، يوحى إلي من لطفك وأدبك ، ما يمثلك أمامي ، فأذكرك بقلبي ولساني،في يقظتي ومنامي ، وأخر لله ساجداً على هذه الصفات الحميدة ، وتلك الفضائل المجيدة .

ويا ليتني كنت من أرباب علم الحرف أو السحر أو التنجيم فأكتب إليك حجاباً ، أو أرسل إليك جريدة ، لتجذبك نحوي ، وتدعوك للحضور عندي ؛ ولكن لا حول لي ولا حيلة غير الدعاء بقرب الشفاء ، فأعود إليك وأحظى باللقاء ، ودمت لأخيك .

المخلص

١٦ — حضرة الفاضل

انني إذا كتبت إليك ، وأنت في وسط سرورك وغبطتك أحتاج إلى اهتمام كبير في اختيار الألفاظ ، وسبكها ليقبلها ذوقك الرقيق ، وطبعك السليم .

أجل ياسيدى الفاضل — أنك تعلم أننى أحبك وأهابك لا لأنك ذلك المستبد القاسى ؛ ولكن لأنك ذلك الذى كسته ملاحته المعنوية كساء من المهابة ، ووضع فوق رأسه اكليلاً من الكمال .

على أنى أتبرأ من المغالاة ، وأصرح بأننى لست هنا بشاعر ، فليس هذا مقام الشعر وقوافيه ، وإنما أنا حائك يحوك من الثناء برداً ، وينسج فى خيوط الإخلاص سلاماً ، يوشيه بالشوق ، ويدبجه به ، كما يُدبج الروض غيث المطر ، ليهدى إلى طلعتك ، ويكون أنيسك إذا ما خلوت .

وإنى أعتبر نفسى حاضراً معك ، متمثلاً بقول الشاعر :

حسبت نفسى حاضراً معكم ولا   تعجب إذا صار الغياب حضورا

إن القلوب إذا صفت مرآتها   وإن احتجبت تُرى بها منظورا

١٧ — صديقى العزيز

أكتب إليك ، ولو استطعت أن أكتب فى كل يوم لفعلت لأننى على يقين من أنه بعملى هذا أخفف عنى ألم الفراق ، وأطفىء نار الأشواق ، حتى يمن الله علينا بالتلاقى

وإنى والحالة هذه كمن يشعر فى نفسه بآلام شديدة ، ولا يجد صبراً على كتمانها فيدعو قلمه ، للتعبير عن ألمه ، ويجعل الكتابة واسطة بينه وبين أحبابه ، يشكو لهم منها عن حالته ، ويشرح عن علته ، ويشفى بها غلته ، فهى لسان حاله ، يستعملها فى حالة الغياب كما يستعمل لسانه وقت التكلم والخطاب

نعم ، لو كانت نار الأشواق تطفأ بالدموع لفعلت ؛ ولكنى رأيت أن خير وسيلة لتخفيف الوجد ، وشفاء الصدر من علة البعد هى المراسلة ؛ لأنها كما قيل : الكتب نصف المشاهدة

وأنا أقول : أن الكتب متى كانت مكتوبة بإحساس طاهر شريف ، وتصور حقيق صادق ، لكانت هى المشاهدة كلها

لأن صور الأحباب مرسومة فى القلوب ، فمتى جاء المكتوب وتصور الحبيب المحبوب رآه بمرآة قلبه ، وشاهده بعين حبه

نعم ، أن القرطاس لا يغنى عن صحيفة الوجود ؛ ولكن يمثل للانسان صورة صافية ، فى قالب معنوى ، بما أوتيه من حسن التمثيل ، ودقة التعبير كالنائم يرى صاحبه فى المنام يحادثه ويلاطفه كأنه كان معه ، وهذا ما يعبر عنه بالجملة الآتية : لئن تفارقت الأشباح ، تزاورت الأرواح

إنى لم أطلب منك أن ترسم لى صحيفة وجهك وترسل لى صورتك ، فهى مطبوعة فى فؤادى ، تظهر وتحضر كلما جاءنى منك كتاب ؛ لأن الكتب هى رسول المحبة بين الإخوان ، كما إن المقاطعة هى نذير العداوة والهجران

فبالله عليك لا تضن عليك بالمكاتبة ، ففيها كما تعلم دوائى ، بل شفائى ، حتى تعود فيعود لنا الأنس والسرور ، ودمت لأخيك المخلص

١٨ — أخى الفاضل

ما كنت أظن أن الكتابة تحدث سحراً ، والمداد يستحيل تبراً ، واللفظ يكون دراً ، إلا عندما تلوت كتابك ، الموشى بدرر البيان ، وغرر المعانى الحسان

ولقد اتخذته مؤنساً وسميراً ، وحفظته فى فؤادى فهو بالإكرام جديراً

وإنى أيها الأخ ، مهما حاولت أن أصف اليك الشوق الذى أعانيه ، فلا أستطيع بقلمى أن أترجم عن معانيه

ولو استعرت تصورات الشعراء ، واستعملت عبارات البلغاء لما قدرت على وصف

شمائلك الغراء ، التي جذبت القلب ، بمغناطيس الحب فأنا من عشاق كمالك ، وجمال معارفك ، وآدابك التي تحليت وامتزت بها عن خلانك ، وذلك هو إكليل الفخار الحقيقي الذي يوضع على هامتك ، وتحلى به صورتك ، وليت لي حاكي الصوت يحمل إليّ صدى كلامك الرقيق ، وتعطفك العذب الرحيق

وليت لي مصوراً ينقل لي عن بعد رسم شخصك الظريف ليتجلى لي بالحس ، وأتصوره بالنفس

وإني أكون سعيداً موفقاً ، إذا أعرتني لحظة من التفاتك ، وتفضلت علي بجميل مكاتباتك ، . وحسبي منك جواب آخر يكون فيه دوائي ، ومنه شفائي ، يخفف عن الفؤاد ، آلام البعاد . وفي الختام أرجو التفضل بقبول خالص التحية ، والأشواق القلبية ؟ من صديقك المخلص

١٩ — صديقي المحترم

يظهر لي أنك لما رأيتني وقفت في باب التحرير ، وعجزت عن التعبير ، أخذتك الشفقة عليّ ، وأمسكت عن الكتابة إليّ لاسيما وأنك تعلم بأنني عليل الجسم ، سقيم الفكر

نعم ، أشفقت عليّ ؛ ولكن من حيث تريد أن تسيء بي الحال ، وتشغل مني البال ، فارحم ضعفي وعجزي بقوتك ، ولا تحرمني من مطالعة كتبك ، ففيها راحتي ومسرتي ، بل حياتي وسعادتي ، حتى أعود من رحلتي وأراك ، وأحظى بمشاهدة أنوار محياك ، وسلام الله ورحمته عليك

ولو أني كتبت بقدر شوقي   لأفنيت الصحائف والمدادا
ولكني اقتصرت على سلام   يذكرك المحبة والودادا

مكاتبات اللوم والعتاب

١

إذا تخلفت عن صديق ولم يعاتبك في التخلف
فلا تعد بعد ذا إليه فإنما وده تكلف

سيدى

الكتب أعزك الله تحيي ما أماته الهجران ، وتجدد من عهد المودة ما أضاعه الزمان ، وقد انقطعت بيننا انقطاعاً ، كاد يعرض الشك معه فى اليقين المعتمد عليه ، والصحيح الموثوق به فى إخائك ، على أنى لا أصرف شيئاً من العتاب إلا جدت على نفسي بأمثاله لك ، واستوفيت عليها استيفاء ، غير مسامح لها فى المعذرة ، فإن الحقوق بيننا توجب من التواصل ما نحن عَلَى ضده فى ظاهر التعامل ، قياماً بما تنطوى عليه النيات وُدًّا و إخلاصاً . فأرجو أن أكون فيه على منزلة تعجز المجتهد ، وأن تكون على مثلها وذلك هو القصد المأمول ، فان الواصل بنيته و إن انقطعت كتبه واصل ، والواصل بنفسه إذا لم يَصدق وُدُّه قاطع ، والسلام ؟

٢ — وددتنا أعزك الله فأحسنت ظاهر التودد ، ثم أخذت بوثائق الجفوة والبعاد ، وخليت عن خلائق الثقة والوداد ، حتى كأن ما أسلفته كان حلماً ، وما استأنفته كان ظلماً ؛ فإن قلت : إن الشغل والزمان عاقاك عن جميل العادة ، ومنعاك عن الزيارة والعيادة فقد كان لك فى الرسول فسحة ، وفى الكتاب بالمعذرة حجة ، وكان الأولى أن تديم ثقتنا بك ، وتبعد سيء ظننا عنك . وتجعلنا فى حيز السكون إليك ، ونحن نرجو أن تقبل منا هذا العتاب ، وتراجع فينا ما أنت أولى به من الصواب ، والسلام عليك ورحمة الله ؟

٣ — إنى اصطفيتك لنفسى ، واخترتك لأنسى ، فكن فى أمان منى ، وثق بى ، واعلم بأننى مرآتك كما كنت أكون : إخلاصاً ووفاء ؛ غير أننى إن هجرتنى أصلك ، و إن نسيتنى أذكرك ، ولا أترك ودّك ، ولا أتحول عن عهدك . فتِه علىّ كيف شئت ، وتمتع بافتقارى إليك أين سرت ، وكن على يقين بأنى صديقك الأمين . ولكن عطفاً عطفاً فإنى — ومزيد شوقى لرؤياك ، وشديد شغفى بلقياك — يؤلمنى صدّك ، ويقلقنى بعدك ، فبالله عليك لا تعاقبنى بالحرمان ، ولا تدعنى فى زوايا النسيان ، وعاملنى بالإحسان ، إذ الفضل منك و إليك ، والسلام عليك ؟

٤ — ماذا أقول أيها الأخ ، فى هجرك وانقطاع كتبك ، فإن قلت جفوة منك ، فكيف يجفو من ليس الجفاء من طبعه ؟ أو نبوة ، فكيف ينبو الشكل عن شكله ؟ أو شغل ، فهلا جعلتنى من شغلك ؟ أو علة ، فكنت أحق الناس بخبرها ، والعلم بها لأشاركك فى تحملها ؛ أو فرط ثقة بى فذلك لعمرى أقرب للفهم ، وأغلب للظن ، و إليه سكنت نفسى ، وزال أسفى و يأسى ؟

٥ — أما بعد ، فقد عاقنى الشك فى أمرك عن عزيمة الرأى فيك ، ابتدأتنى بلطف من غير خبرة ، وأعقبته جفاء من غير ذنب ، فأطمعنى أوّلك فى إخائك ، وأيأسنى آخرك من وفائك ، فسبحان من لو شاء لكشف عن عزيمة الرأى فيك ، فأقامنا على ائتلاف ، أو فرقنا على اختلاف ؟

٦ — أكتب إليك والشوق يغالبنى على مراسلتك ، وانقطاعها عنى يمانعنى فى مخاطبتك ، واعلم أن النفوس الشريفة إذا طوحت بها الغربة صدقت فى الوداد ، وتراسلت لتخفيف ألم البعاد ، وحافظت على الإخاء ، وخالفت سنة الجفاء ؛ أما تعلم أن حبل المودّة مقرون بالمواصلة ، ورسول العداوة يدب بالمقاطعة ، ومن أغفل صديقه

عن التذكار لم يرد صداقته ، ومن أحيى مودته بعتابه فقد استبقى محبته ؟ فلهذا قد أطلقت لسانى بالكلام ، ووجهت نحوك سهام الملام ، تعنيفاً على هذا الجفاء ، ولوماً على عدم الوفاء ، فإن اعتذرت أعذرتك ، وإلا بالمخاصمة والمقاطعة أنذرتك ؟

٧ — لماذا أيها الأخ قد رغبت عن مواصلتنا بكتبك ، وإبلاغنا طيب خبرك ، وقطعتنا قطع ذى السلوة ؟ حتى كأنك كنت إلى مفارقتنا مشتاقاً ، وإلى البعد عنا مرتاحاً .

ولست أدرى ماذا أقول فى اختيارك ترك المكاتبة ؟ فإن وصلت فمشكور ، وإن قطعت فمعذور ؟

٨ — مضى زمن لم أحظ فيه بمراسلاتك ، مع أنك تعلم أن الصديق متى اعتاد رسائل صديقه كثر بورودها فرحه ، وعظم بانقطاعها ترحه ؛ وقد حركتنى عوامل الشوق ، وجذبتنى رابطة الأخوة بتحرير هذا إليك ، لعله يكون باعثاً لإرسال خطاب منك ، يدل على اعتدال صحتك ، وأطمئن به على عزيز أخوتك ؟

٩ — لماذا أيها الأخ أحرمتنى ودادك ، مع علمك بأنى أشوق الناس إليك ، وأحوجهم إلى رؤيتك ؟ وطالما تاقت نفسى إلى ورود ورقة منك أمتع بها نظرى وسمعى ، وأخفف بمطالعتها ماعندى ، فإن جدت بالجواب ، فقد رفعت العتاب ، وعملت بالصواب ؟

١٠ — لولا دلالة القلب على صفائك ، وإخلاصك ووفائك ، لأطلت العتب ، وأكثرت من الشكوى ؛ ولكنى عهدت بين جنبيك قلباً لا يغيره تحول الأحوال ، ولا يبدله مرور الأيام ، وكر الأعوام ، فأنا مخاطبك بما يمليه شوقى على ، رضيت أم غضبت ، سكت أم أجبت ؟

١١ — إن أيام العمر لأقل من أن تتحمل الهجر ، وقد طال العهد بالاجتماع ، حتى كدنا نتناكر عند اللقاء ، فكيف تجفو من ترجوه لكل خير ، وتنتظر مشاركته لك فى السراء والضراء ؟ وكيف يكون لك أخاً صادقاً ، إذا أنت لم تحافظ على الصداقة والإخاء ؟ فهل لك أن تزيل هذا الجفاء ، وتعود إلى ما كنا عليه من المودة والوفاء ؟ ؟

١٢ — لو كانت الشكوك تداخلنى فى صحة مودتك ، وصدق إخائك ، وقديم عهدك ، لطال لومى عليك ، لامتناعك عن الإجابة على كتبى التى أرسلتها إليك ؛ ولكن الثقة بك ، تقيم أمامى لك عذراً ، وتحسن لى ما يراه الغير نكراً ، فهل من كلمة منك ، تحقق رجائى فيك ، وتخرص ألسنة الناس عنك ؟ ؟

١٣

يا ذا الذى جعل القطيعة دأبه إن القطيعة موطئ الريب

إن كان ودك فى الطوية كامناً فاطلب صديقاً عالماً بالغيب

والله يا أخى ، لولا أننى مخلص فى مودتك ، صادق فى محبتك لما تحملت منك طول هذه القطيعة ، ولقابلتك بمثلها ؛ ولكن لا أفتر عن الدعاء بالعودة إلى المودة ، وحفظك دائماً فى سرور وصحة ؟

١٤ — لولا حسن الظن بك ـ أعزك الله ـ لكان فى إغضائك عنى ما يمنعنى عن المكاتبة إليك ؛ ولكن علمى بما أنت عليه من رعاية الحق ، والتمسك بالصدق ، جعل لى أملاً فى عودتك إلى قديم مودتك ، وتجديد عهد محبتك ؟

١٥ — ما بالك أيها الأخ قد قطعت عنى المراسلة ، وبخلت علىّ بالمكاتبة

والمواصلة ، بعد ما عودتني من جميل خلقك ، على تواتر كتبك ؟ فليت شعرى ألذلك من سبب ، حتى يخفى العجب ؟ فإنى ـ وحبك ـ لا أعرف لى ذنباً أستوجب ذلك الحرمان ، ولا سبباً أستحق منك أن أطرح فى زوايا الإهمال والنسيان ؟ فلعل هذا يكون داعياً لإرسال كتاب منك ، أطمئن به عليك ؟

١٦ — على بصدق مودتك ، يمنعنى من أن أستحثك على مكاتبتى وثقتى بإخائك ، تشكو إليك تقصيرك ، وأملى فيك يطمننى بإعادة وصلك ؟

١٧ — ما بالك أيها الأخ قد رغبت عنى ، وملت إلى غيرى ؟ مع أنى مذ عرفتك لم أحول عن طبعك ، ولم أتخلق بغير خلقك . وإنه لم يكدرنى ميلك للغير ؛ بل أحب أن تكون محبوباً عند جميع الناس ؛ إنما يجب أن تعامل كلاً بحسب درجته فى الصحبة . على أنه من السهل أن تعاملنى معاملة من يؤثر القديم على الجديد ، ويحن إلى أول منزل . هذا إذا كانت الشفقة غير مشغولة فى غيرى ، والحنان لازال على عهده الأول ؛ أما إذا لم يكن لدائى دواء عندك ، وليس فى قلبك مكاناً خالياً ، فاتركنى على حالتى ، لينصف لى منك غيرى عند الخبرة ؟

١٨ — أخى ، لماذا هجرتنى من غير ذنب ، وقطعتنى من غير سبب ؟ وهل لى أن أرجو أن يصادف كتابى هذا مكان الرأفة والحنان من فؤادك ، فتنعطف علىّ بنظرة ، ولا تتركنى فى ندم وحسرة ؟ والسلام مع فائق الاحترام ؟

١٩ — عزيز علىّ أن أخط بقلمى كلمة عتاب لك بسبب امتناعك عن مكاتبتى ، وإنى أعيذك بالله أن تكون من المقصرين المهملين ، كما وإنى لا أسألك برهاناً على ذلك سوى أن تبادر بجواب منك ، يمحو علامة الشك فى إخلاصك ، ويثبت لك فى الفؤاد آيات الحب والوداد ؟

٢٠ — قد ساءنى بسطة لسانك فى قدح أخيك ، فهممت بالرغبة والتحوّل عن ودادى ، لولا أملى فى البقية الباقية لك فى فؤادى ، فاتق الله فى عهدى ، وانصفنى من نفسك ، فان الكأس قد فاض ، والنفس من جهتك فى كدر وانقباض ؛ ولا يمكننى أن أرى سابق حسناتك ، وجميل صلاتك ، فأدعوك عدوّا ، ولا أن أرى ذلك الفتور والقدح ، فأدعوك صديقاً ، ولعل ذلك يكون حاملاً لك على أن تتصوّر حالتى أزاء هذه العوامل ، وتقربها لحسك ، فتأخذك للحنان والرأفة ، فيعود الجفاء وصلاً ، والبغض محبة وعطفاً ، والسلام ؟

٢١ — كتابى إياك ، ولا أكلفك الجواب عليه ؛ وإنما أرجوك فى قراءته ، والتنازل بمطالعته ، ولك بعد ذلك الرأى فى أن تحاسب نفسك أو تزكيها ، وتحكم لها أو عليها

زرتك بالأمس والله يعلم مقدار ما كان عندى من الشوق إلى لقائك ، فسألت عنك الخادم فأخبرنى بخروجك ، و بعد ذلك تحققت من وجودك فإن كان كبر عليك أن ترانى ، وتريد بذلك الابتعاد عنى ، فهذا فراق بينك و بينى ؟

٢٢ — مرضت فلم تسأل ، وشفيت — ولله الحمد — فلم تحضر ، فكنت أنتظر منك كتاباً بالتسلية ، أو جواباً بالتهنئة ، إن كان الحضور عزيزاً ، فلم تكاتبنى فى أيام العناء ، ولا فى أيام الهناء ، وقد اعتذرت عنك لنفسى ، وجادلت عنك قلبى ، قائلا ربما لم يصلك خبر المرض ، وشغلك شاغل عن التهنئة ، فإن كنت أحسنت عنك الاعتذار ، فاكتب بالاستحسان ، وإلا فأخبرنى بعذرك ، فأنت أعلم منى بسرك ، وارض بأنى حاربت عنك قلبى ، وعفوت عن ذنبك كأنه ذنبى ؟

٢٣ — أعاتبك — ويبقى الحب ما بقى العتاب — على نسيانك مراسلتى وإطراحك مودّتى ، كأن لا عهد ولا ذكرى لنا فى عالم المودّة

ولئن جاز أن أعذرك على عدم الزيارة ، فلا يجوز أن أبرر قطعك الرسائل ، لأنها لم تخرج عن كونها صورة من أعمالك التي تدأب على تمثيلها للناس كل يوم ، ليروا آثار شرقي عظيم مثلك ، يحب العلم و يفنى فى العلم ، حتى لقد اتخذ داره داراً ، ومقره قراراً .

و بعد — أفلا يعد من قلة الإنصاف والمبالغة فى القسوة أن تنسى عهداً يانعاً لا يزال له ظل وافر يرفرف و يمتد ، إلى كل ظل وعهد ؟ وهل هذا مبلغ مودّتك وآخر عهد صداقتك ؟ فهل لك أن تبدل هذا السراب بماء ، فيروى بعض الظمأ حتى تبرد الغلة ، وتشفى العلة ؟ أو هل لك أن تعلن تنصلك من هذه المودّة ، وخروجك منها ، ويكون اليأس إحدى الراحتين ؟ هذا ما أكله إليك ، والسلام عليك ؟

٢٤ — صديق الأديب :

هل أنت معيد لى تلك الأيام ؟ وهل تسمح برجوعها وترجع عما أنت فيه من هجر يذيب القلب ، و يميت الحب ؟ إنى سائلك ، ولا أدرى ماذا يكون جوابك ؟ غير أن عهدى بك أنك حافظ الودّ ، ثابت العهد ، والسلام ؟

٢٥ — عاهدتنى ولم ترع عهدك ، مع أنك ممن يصونون حرمة العهود ، و يفون بالوعود ، فعجبت من ذلك كل العجب ، وأسفت على هذه المعاملة التى لا أستحقها منك ! فما الذى يا ترى جنيته فى جانبك ، حتى نكثت ما عهدتنى عليه ، وأخلفت ما وعدتنى به ؟ وما الذى دعاك إلى هذا الإخلاف ، مع أنه لم يسمع عنك تقاعد عن الوفاء ، ولا إخلال بحقوق الإخاء ؟ ولولا شدة حرصى عَلَى بقاء صحبتك ، والمحافظة عَلَى مودّتك ، لما ألقيت إليك هذا العتاب . وأرجوك أن تجعل نفسك حكما

فيما بيني و بينك ، و إني لواثق من أنها تنصفني منك ، وتبين لك الهفوة التي أتيتها في حقي ؛ مع أني من أكبر المخلصين لك ، وأشد الحريصين عَلَى خيرك ومصلحتك ، والسلام ؟

٢٦ — أيها الصديق :

لم أعهد إليك بما عاهدت إلا لثقتي بغيرتك ، ومحبتك لي ، ولقد كنت اتخذتك سندي ، واعتمدت عليك في قضاء طلبي ، واكتفيت بك عن سائر الإخوان والأصحاب ؛ ولكن مع الأسف جاء الأمر على خلاف ما كنت أنتظر . فيا خيبة المسعى ، وضيعة الأمل ! ويا شماتة الخصم ، متى علم أنك نبذت رجائي نبذ النواة وآ أسفاه ! . أهذا الذي كنت آمله في مروءتك ومودّتك ؟ أم هذا جزاء صديق سلك معك مسلك الأمانة والإخلاص ، وضحى بنفسه في سبيل خدمتك ومصلحتك ، ولم ينقض لك عهداً ، ولم يخلف لك وعداً ؟ ويا ليتك كنت معذوراً في الامتناع عن قبول رجائي لما شقّ عَلَيَّ عدم الظفر ببغيتي ؛ ولكن لا بد وأن يكون قد تسلط عليك شيء من الخوف والوهم ، أو داخلك شك في أمري فحال بينك و بين إجابة طلبي .

وعلى كل حال فإني أدع أمري إلى الله فهو أحكم الحاكمين ؟

٢٧ — كتبت إليك معتمداً على مساعدتك ، و إمدادي بمبلغ قليل من المال أستعين به على سد حاجاتي الضرورية ، إلى أن تتيسر لي الحال ، وتنفرج الأزمة ، فأقوم لك بسداده شاكراً . وما كنت أنتظر منك رفضاً ، لا سيما وأنك في سعة وليس عليك دين مثلي .

أيليق بك أن ترد طلب صديق لك ، وتمسك يدك عن مساعدته ، وهو من

المخلصين إليك ، والمعتمدين بعدالله عليك ؟ وهل فى شرعة الإنصاف والإخاء الإمساك عن التعاون ؟ وقد جاء فى الحكم :

« إن الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه »

وهل ضاعت المروءة بين الإخوان ؟ أم هل أمنت غدر الزمان ، وطوارئ الحدثان؟ إنى أترك ذلك لشعورك وعواطفك ، والسلام ؟

٢٨ — أيها الصديق المحبوب

لماذا عدلت عن عادتك المحمودة ، فأمسكت عن زيارتى مدة من الزمان ، كانت كل ساعة تمر منها بمنزلة عام ؟ مع أنك لو علمت مقدار حبى وشوقى إليك لما تأخرت عن زيارتى كلما سنحت لك الفرصة .

فهل فرط منى ما أوجب هذا الهجر ؟ أم قضت عليك الأشغال بمقاطعتى ، فأورثتنى سقماً وهماً ، وأعقبتنى وحشة وألماً ؟

فبالله عليك عد إلى مألوف عادتك ، حتى لا أحرم من مودتك ، ولذيذ معاشرتك ، وبذلك تعيد لى راحتى وأنسى ، وتطوق عنقى بقلائد ظرفك ولطفك ، وتوليني الجميل من عطفك ، والسلام ؟

٢٩ — لم يكن يخطر ببالى أنك ممن يخلفون الوعود ، ولم يتبادر إلى ذهنى أن نفسك الصادقة ترضى أن تضعف ثقة الناس بك ؛ بحيث أصبحوا لا يعولون على كلامك ، ولا يحسبون لمواعيدك حساباً ، مهما طرأ منى من الأعذار . فما الذنب إلا عليك وحدك فى ذلك ؛ لأنك بإخلافك الوعد أضعت ثقتى بك ، وكان من الواجب عليك أن تخفف عنى صعوبة انتظارك الطويل الذى أورثنى الملل ، وأضاع منى الأمل . فلمْ

إذاً نفسك ، وكفر عن هذا الذنب بالعودة إلى سابق عهدك ، ومراعاة الصدق فيما تقول ، والوفاء بما تعهد ، والسلام ؟

٣٠ — وصل إلى مسامعى أنك طعنت فىّ ، وجرحتنى بكلام فاحش قارص ، فكذبت ذلك فى أول الأمر ، ونسبت إلى من أبلغنى التحامل عليك ، ونهرته وزجرته لاعتقادى أن المطاعن التى نقلوها افتراء محض ، وكذب ظاهر ، ولثقتى بأنك من أهل الفضل والصدق ، ممن لا يتعرضون للطعن والمذمة ، ويترفعون عن فحش القول ، ويتنزهون عن تلويث ألسنتهم بالكلمات المؤذية الجارحة .

ثم جاءنى بعد ذلك بعض الأصدقاء المخلصين الذين أثق بهم ، والذين ليس بينك وبينهم نفور أو ضغينة ، وأكدوا لى ما وجهه إليك الفريق الأول ، فلم يسعنى إلا أن أصدقهم مستغرباً حصول هذه الفرية منك التى دنست بها نفسك ، وحللت بها عقدة الصداقة التى كانت بيننا من مدة طويلة .

ولا أدرى يا ترى ما الذى حملك على هذه الحملة الظالمة ؟ ومَن الذى حرضك وأغراك على مذمتى وإساءتى بغير ما سبب ، واتهامى بجرائم ومعائب يبرئنى منها كل من عرفنى وعاشرنى ووقف على سيرى وسيرتى ؟ أهذا الذى كنت أنتظره منك بعد أن أخلصت لك المودّة ، وحرصت على مصلحتك أكثر من حرصى على نفسى ؟ أهذا الذى كنت أتوقعه من صداقتك ، وطول صحبتك ؟ فإن كنت تريد بذلك قطع العلاقات بيننا فلا بأس ، واعتبر أن هذا فراق بينى وبينك . وإنى لا أندم على فقد صحبة تكون نتيجتها غير مرضية ، والسلام ؟

٣١ — سمعت بأذنى منك الطعن الذى وجهته إلى أخينا فلان ، بحضرة بعض الإخوان ، فأنكرت عليك هذا الفعل القبيح ، وعددته من فلتات الخفة ،

وزلات الطيش ، التى كثيراً ما تصيب الشبان أمثالك . وكان الأجدر بك أن تصون نفسك من ذكر هذه الشتائم ، وتترفع عن التصريح بها ، لاسيما وأنك كنت فى مجلس من الأدباء حيث ميزان العقل ، وحسبان الفضل . وإن أخينا المذكور لا يستحق منك كل ذلك ، وكنت أودّ أن أرد عليك فى هذا المجلس ؛ ولكنى امتنعت عن ذلك مراعاة لإحساسك ، وحرصاً على عدم جرح شعورك ، ورأيت الآن أن أكتب إليك لأعلمك بخطئك ، وأسدى إليك النصيحة الأخوية الآتية :

اعلم يا أخى وفقك الله إلى الصواب أن المرء إذا زل لسانه فى مثل هذه المجالس الجليلة نقص من مقامه ، وعرّض نفسه للهزء والسخرية ، وجعل اسمه مضغة فى الأفواه ، ولا أدرى لك عذراً فيما صنعت سواء أكان كلامك صحيحاً أم عارياً عن الصحة ؟ أما قرأت قول الشاعر الحكيم ؟

لسانك لا تذكر به عورة امرئ	فكلك عورات وللناس ألسن
وعيناك إن أبدت إليك مساوياً	فدعها وقل يا عين للناس أعين

وهب أنك لا تخشى من أهنته وحقرته ، أما كان الأجدر بك أن لا تبرهن للسامعين على سوء نية أو سقوط قدر ؟ وكيف يأمنون من جهتك الآن قوارص اللسان ، وقد بلغت بمحضرهم منتهى الذم والوقاحة ؟

أم كيف تأمن أنت مكرهم وخياناتهم ، وتسلم من حملاتهم عليك فى غيابك ؟. فابتعد حماك الله من هذه المساوئ وعاهد نفسك بأنك لا تتفوه بكلام ما لم تمرّ به على محك العقل ، والتبصر فى نتائجه ؛ حتى إذا لم تكن محمودة عدلت عنه ، ونبذته ظهرياً كما هو شأن كل عاقل حكيم لا يندفع إلى أهواء نفسه وغايته ، بل يلجم طبعه بلجام البصيرة ، ولله درّ من قال :

« من لم ينظر إلى العواقب ، لم يكن له طول الدهر صاحب »

متى عملت بموجب هذه النصيحة الدينية حفظت نفسك من الوقوع فى الزلل ، ودفعت عنها مضرات الخطل ، وفى هذا القدر كفاية والسلام ؟

٣٢ — حضرة الأخ المحترم

لما تصفحت أخلاقك وجدتها مباينة لأخلاق ، زائغة عن قصد طريقى ، فصبرت عليها رياضة لنفسى على الصبر لمساوئ أخلاق المعاشرين ، ولعلمى بكامن العدوان فى جميع العالمين ، ولما رجوت من إصلاح حالك ، وعلاج خصالك ، بما أقابلها به من التجاوز ، وبما أستحق على سوء آثارها من أذيال التغاضى .

رأيتك دائماً لاتقوّم اعوجاج مذهبك ، ولا يعطف بك الرأى إلى رشدك ، فلما فنيت حيلتى فيك ، وانقطعت أسباب أملى منك ، ورأيت الداء لايزيد على التعهد بالدواء إلا فساداً ، والخرق على الترقيع إلا اتساعاً ، قدمت اليأس منك على الرجاء فيك ، واحتسبت أيامى السالفة فى إخلاصى لك ، والسلام ؟

٣٣ — أخى

ما كنت أظنك تؤذينى ، وتكدر صفوى وراحتى بإفشاء سر ائتمنتك عليه ، وقد وعدتنى أنك تصونه ، وتتحفظ به ، بعد أن أفهمتك الضرر الذى ينشأ عن إباحته .

فأين وعدك ، وأين صداقتك ؟ وكيف تسامحت لنفسك بمس كرامتى ، وهتك حرمتى ؟ وكيف طاوعك لسانك على الغدر بى ، ووافقك قلبك على أن تعرضنى لمشاكل عديدة يصعب حلها ؟

فإذا كنت لم تراع مصلحتى ، ولا يهمك ضررى ، فهلا راعيت مصلحتك ، وحرصت على سمعتك ؟

فانصفنى منك ولُمْ نفسك على ارتكاب هذه السيئة ، وحافظ على أسرار إخوانك ، محافظتك على الأمانة ، فما أشد عقاب من اؤتمن فخان ! وما أبعده عن صحبة الإخوان ! والسلام ؟

٣٤ — استلمت خطابك ولم أعبأ بما فيه من سقط القول ، وفحش العبارة ، لأنى لم أدهش إذ أبصرتك فى الدرك الذى كنت أعتقده لائقاً بأمثالك ، ولست أغالطك أو أغالط نفسي فأقول : إنى كنت أظن فى آدابك وتربيتك أحسن من تلك الآداب التى تخيرتها لنفسك فى خطابك ؛ بل بالعكس أنت أنت الذى رسمت صورتك فى نفسى من أول ساعة أبصرتك فيها ، رغم كل مظاهر واعتبارات أخرى.

لذلك لا تظننى تألمت كثيراً من خطابك ؛ لأن عملك هذا ليس مستنكراً ولا مستغرباً فيك ، ولست أكتب إليك هذا كصديق أعاتبه ؛ لأن تلك درجة لم تصل إليها بعد ، ولن تصل إليها أبداً ، كما وأنى لا أقصد أن أتفاخر عليك وعلى أهلك بما لى عليك وعليهم من أياد وخدمات ؛ لأنى لا أفعل الإحسان إلا حباً فى الإحسان ؛ ولكن معاذ الله أن أجاريك وأمتن بما قد أغدقته عليك ، وما بذلته نحوك مما أستحى أن أعدده كما عددت أنت ، لأن التفاخر فى هذا الشأن من طبع الدنىء السافل .

إنما كل ماحدا بى إلى كتابة هذا ، هو أن أحذرك من أن تكتب قبل أن تعرف آداب الكتابة ، لأن جهل المرء ليس مبرراً لفحشه ، و بذاءة لسانه ، وعبثاً ما يظنه الأحمق الحقود من أن ينال من مقام رفيع بأدبه ، رفيع بأخلاقه ، رفيع بأخلاقه ، رفيع بعزة نفسه وإبائها .

فاذكر ذلك ، واعلم أن الأدب قبل كل شيء ، فقبل أن يقال أبى وأصلى الطويل العريض ، يقال أدبى وأخلاق . بالله ما أسرع البناء الذى أقامته الأكاذيب والأباطيل إلى الانهيار !

إن من الحمق أن يدعى المرء ما ليس فيه ، ما دام لا بد من أن تأتى الساعة التى ينم فيها عمل الإنسان عن أصله الذى لا مراء فيه .

والسلام عليك السلام الأخير ممن لم يخطئه نظره فيك ؟

٣٥ — أخى العزيز هداه الله

بلغنى أنك آسف لمقاطعتى إياك ، وأنك تسعى لاسترضائى ، ولما كان ابتعادى عنك ، ليس لخلاف شخصى بينى وبينك ، وإنما هو لاستيائى من الخطة التى سلكتها فأوجبت غضبى وغضب أصدقائك المخلصين ، بقدر ما ارتاح لها أعداؤك الحاسدون المنافقون .

ولما كنت شديد الحرص على سمعتك ، وسمعة أسرتك جئت بهذا أسدى إليك النصيحة ، علّ الله يهديك إلى أقوم طريق ، فيرتاح « فكرى » لخطتك ، ويعود قلبى إلى صفائه .

أنت أدرى يا أخى بمنزلة الرجل فى القلوب إذا كان مهذباً مستقيما ، وأدرى بما يكون له من النتائج الحسنة التى تجعله فى نعيم دائم ، وهناء مستمر ، يملأ فؤاده لذة وسرورا ، كما أنه لا يفوتك معرفة حال الشخص المنحرف عن طريق الاستقامة ، السالك سبيل الغواية ، بحيث أراك غنياً عن التصريح والإفصاح عن سوء عاقبته .

ومن الأمور المقررة أن قيمة المرء فى المجتمع الإنسانى تقاس بمقياس سمعته الأدبية، وتوزن بميزان عقله وفضله ، فإذا برهن عن صفات شريفة ، وسلك مسلكاً راقياً ، حفظ كرامته عند أهله وإخوانه ومعارفه ، واكتسب ثقتهم ؛ بخلاف ما إذا سار سيراً معوجاً منتقداً ، فإنه يعيش بين إخوانه ضعيفاً وضيعاً ، مرذولاً محتقراً ، يجتنبه الأصدقاء المخلصون ، ويبتعد عنه المستقيمون ، ابتعاد السليم من الأجرب ؛ بل يكون ساقطاً

فى نظر جميع الطبقات ، وينزل به من الأضرار الأدبية والمادية ما أنت فى غنى عن بيانه وشرحه . فاختر لنفسك من الآن ما يكسبك حسن السمعة ، ويعلو بك إلى مراتب الأطهار الأبرار ، مخافة أنك إذا التويت فى طريقك ، وسلكت مسلكاً وضيعاً منحطاً ، لا تقوى فيما بعد على أن تطهر نفسك من أقذار لصقت بسمعتك ، مهما أتيت من محاسن الفعال ، ومهما جمعت من الثروة والمال .

فمتى سلكت هذا المسلك الحميد ، وعملت بنصيحتى هذه رضيت عنك ، وذكرتك فى مجالس المفاخرة ، وطربت بما أسمعه عنك ، وفرحت بمحاسنك الأدبية ، أكثر من فرحى بثروتك المادية .

وإنى بعد ذلك لا أريد أن أزيدك ترغيباً فى اتباع هذه الخطة الشريفة التى هى أفضل كنز للإنسان فى حياته ، وأعظم ذكرى له بعد مماته .

وأدعو الله بخالص جنان ، وصدق وجدان ، أن يوفقك لاتباعها ، والعمل بها ، لتفوز برضا الخالق والخلق ، وتحوز السعادة فى الدارين ، والسلام ؟

٣٦ — أيها الصديق الأجل

لست أقول لك إلا ما قاله الله فى كتابه العزيز :

« يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين »

ويكفيك موعظةً واعتباراً بما جاء فى هذه الآية الكريمة ، ووالله لولا سابق عهد ، وقديم ودّ ، لحذوت حذوك ، ونهجت نهجك ؛ ولكنى صبرت حتى نفد الصبر ، علّك ترجع عن هذا الهجر

فلما لم أجد منك إلا تمادياً على الصد ، ونزوعاً إلى البعد ، أردت أن أبرئ لك

نفسى مما جاءك به الفاسق ، ونمّ به علىّ الحاسد المنافق . فاذا ما جاءك كتابى هذا ، فحبين نفسك واذكر يومك وأمسك ، وقارن بينهما ، واختر أحبهما بعد أن تعلم أن الأخ يدك اليمنى ، وساعدك القوىّ . والله يرشدك ويتولاك ، ويحرسك ويرعاك ، والسلام م؟

٣٧ — حضرة الأخ المحترم

لم أشأ أن أكتب إلا إليك ، لأشكو لك نفسك على عدم ردك على كتابى ، أو على عدم مكاتبتى بالمرة ؛ لأنه مهما كان الحال فأنا لا أعتبر ما يحصل بين الأصدقاء من عتاب أو ملام إلا كتراب تنفخه ريح المحبة فلا تبقى له من أثر بالمرة ؛ أو أرى أن الصداقة كالجوهر الفرد لا تؤثر فيه المؤثرات . لذلك أرى وإن تأثرت من عدم مكاتبتك إياى ، سواء أكنت على حق أم على باطل ، وسواء أكنت مصيباً أم مخطئاً ، أن عدم الرد لا يعتبر إلا باهمال الكاتب ؛ ومع ذلك فاننى أكتب إليك هذا ، لأنه يعز علىّ كثيراً أن تصل الحال بى وبك إلى الجفاء ، كأن لم يكن بيننا سابق مودة وصداقة ، ولا رابطة مصاهرة ونسب ، وحاشا أن تهمل كل هذه الروابط ، فاكتب لى عن جريرتى عندك ، وذنبى لديك

ولم أجعل بينى وبينك وسيطاً إلا قلبك ، ولا مذكراً إلا عواطفك ، فهما حسبى وكفى ، وإنى منتظر ردّك وعودتك إلى ما كنت وكنا عليه ، والسلام م؟

٣٨ — سيدى النبيل المفضال

لا أدرى أى ذنب جنيته حتى عاقبتنى عقابين : قطع المعاملة ، وقطع المودة ؛ أما الأولى فيمكن احتمالها ، ولأن التمسك بها يعتبر تعدّ على الحرية الشخصية ؛ وأما الثانية فلا قوة لى على شدة دفعها إلا إذا كنتم أدمجتم هذه فى تلك ، فجعلتم استياءكم منى فى المعاملة سبباً فى حرمانى من وابل عطفكم وشآبيب ودّكم

وهنا ، يجب قبل الاستغفار أن لا تقام الحجة على جاهلها وأنه كان من الواجب قبل صدور الحكم أن تظهروا سبب ذلك

وعلى كل حال ياسيدى ، فإنك تجدنى كثير الاغتباط بهذا التعارف ، شديد الميل والحب لشخصكم الكريم

وفى الختام أحييكم تحية الإخلاص والاجلال ؟

٣٩ — صديقى الأجل

ما زلت أخدع النفس بالأمانى ؛ وأعللها بورود الوفود طمعاً فى سلام يخصنى ، أو تحية ترد إلىّ ، أو كتاب أقوى به على سيطرة البعد ، وسلطان الأشواق ، حتى أخلف الظن ، وتخلف المأمول . ورأيت الأخ تركنى فى زاوية — معاذ الله أن أجعلها زاوية الإهمال — فإنى ما عهدته قاطعاً لطريق الودّ ، ناكساً للعهد ، ناقضاً لعرى الأخوة ، حاشا لله أن أقول ذلك ، أو أعتقد ، أو أسمح أن يمر بخاطرى ، وإنما هى زاوية خلقتها كثرة أشغال الصديق فى بناء الخدمة العامة ؛ ولكن من يبخل على أصحابه بسلام ، ويضن عليهم بتحية ، جدير بتوجيه اللائمة إليه ، حقيق بالتردد بين الإقدام على مكاتبته ، والاحجام عنها ، فإنى إن أخذت القلم لأكتب كلت يدى عن رفعه ، وضعفت عن حمله ، لعلمى أنى آخر مكاتب له ، وهو آخر مبادر بالسكوت عن الإجابة ، وإن أردت عدم الكتابة يحثنى الشوق ، وينهضنى قدم العهد بإجابته ، والعهد القديم موفور الحرمة ، مرموق بعين الإجلال بين الأنام ؛ ولكن رأيت أن أقدم على التحرير إلى سيدى العزيز رجاء أن يسمح ليراعه ببعض ثوان يكتب فيها لأخ يحفظه إذا غاب ، ويذكره إذا نسيه ، حتى آنس بكتابته وأستشفى من الشوق بما منحه الله من الأدب والكمال ؟

محمد البيلاوى

٤٠ — استبطاء المكاتبة

تأخرت عنى كتبك تأخراً ساء له ظنى إشفاقاً من الحوادث عليك ، لا توهماً للجفاء منك ، إذ كنت أثق من مودتك بما يغنينى من معاتبتك والسلام ؟

٤١ — رسالة العتابى

لو اعتصم شوقى إليك ، بمثل سلوك عنى ، لم أبذل وجه الرغبة إليك ، ولم أتجشم مرارة تماديك ، ولكن استخفتنا صبابتنا فاحتملنا قسوتك ، لعظيم قدر مودتك ، وأنت أحق من اقتص لصلتنا من جفائه ، ولشوقنا من إبطائه ؟

الجواهر المنتخبات

٤٢ — رسالة أحمد بن يوسف

لولا حسن الظن بك ـ أعزك الله ـ لكان فى إغضائك عنى ما يقبضنى عن الطلبة إليك ؛ ولكن أمسك برمق من الرجاء علمى برأيك فى رعاية الحق ، وبسط يدك إلى الذى لو قبضتها عنه لم يكن إلا كرمك مذكراً ، وسؤددك شافعاً ؟

الجواهر المنتخبات

٤٣ — ألهمك الله من الرشد ، بحسب ما منحك من الفضل ، ولو أن كل من نازع إلى الصرم ، قلدناه عفاف الهجر ، لكنا أولى بالذنب منه ، ولكن نرد عليك من نفسك ، ونأخذ لها منك ؟

أجوبة مكاتبات العتاب

مع الاعتذار

١ — صديقى المحترم

إنى أعد نفسى من بين أصدقائك المخاصين ، فإن زرتك لم أوجب عليك حقاً بمواصلة ، وإن غبت عنك لم أخف منك لوماً ولا عتاباً ، فالحمد لله الذى جعلنى بهذه المنزلة فى الثقة بك ؟

٢ — مرت بنا أيام لم يوفقنى الله فيها إلى الكتابة إليك ، وإنى أعيذك بالله أن تنازع فؤادك فى حبى لك ، أو يدخلك الشك فى إخلاصى ، أو تسىء فراستك فى ودادى وإنى وإن كنت قصرت فى التحرير ، فلا أقصر فى الاعتذار ، بأن الأشغال وتصريف الأحوال ، هى التى حالت بينى وبين مكاتبتك ، فعسى أن يكون نصبى من فؤادك ، نصيراً عليها ، وقبولا لمعذرتى والسلام ؟

٣ — أما بعد ، فإن ما أشرت به من معاتبتى ، واستقبحته منى فى نقض العهد ، وتضييع الودّ ، فالناس يا أخى أصدقاء الحال يتصرفون بتصرفها ، ويتحولون بتحولها والحزم أن يؤخذ بعفوهم ، ويقبل عذرهم ، ولا يعاتبوا على هفوتهم ، وإنى أسكل من واددت على حب واف ، وميل صاف ، وإخلاص شاف ، والله أعلم ؟

٤ — أخى — أنا واحد من زمرتكم ، وداخل فى جملتكم ، ومغمور فى عشرتكم فإن شملتكم نعمة شاركتكم فى التجمل بها ، وإن تجددت لكم مسرة جاريتكم فى الابتهاج بها ، وإن وقفت بكم حال تصرفت معكم فيها ، ومن كان بهذه المنزلة فى

المشاركة والمواصلة لم يخش منكم إذا غاب عنكم تهمة ، ولا إذا حضر جفوة ، ولا إذا قصر محاسبة ، فالحمد لله إذ أخلصنى لكم ، وجعلنى على ثقة بكم ، لا يضيق بى عندكم عذر ، بما لا يوجب لى عليكم شكر ؟

٥ — خليلى الوفىّ :

إنى أيها الخل الوفى قائم بعهدى ، حافظ لك فى فؤادى حباً ينمو فيحلو ، وكلما تذكرت ذاتك البهية ، وشيمك العلية ، وأدبك الوافر ، وذوقك الباهر ، ومروءتك وإنسانيتك وطيب غرسك ، وكرم نفسك ، ألتذ لذة الثمل ، وينفتح أمامى باب الأمل ، فتطيب نفسى ، وينشرح صدرى ، وقد بحت إليك بإخلاصى لك ، وحصرت ثقتى فيك ، فكيف تتهمنى يا ابن ودّى بأننى قصرت فى الإخاء ، وتعدنى من إخوان الصفاء ، لا من إخوان الوفاء ، ألا ينبئك قلبك بخالص ودّى ، وصادق عهدى ؟

٦ — جاءنى كتابك حاملاً لى جملة من اللوم والعتاب ، ولكنها فى أجمل قالب ، وألطف عبارة ، حتى لذنى لومك ، وأطربنى عتبك ، فأستميحك ، وأطلب عفوك ، والسلام ؟

٧ — إنى ليحزننى انقطاع الكتابة إليكم ، وقد هممت بعقاب نفسى المذنبة ، غير أنى رأيت الصفح خيراً بها ؛ لأن فؤادى يطمع فى رضوانكم ، ويلتمس عطفكم وحنانكم ، والسلام ؟

٨ — لم تتأخر كتبى عنك إغفالاً للحق ، ولا إضاعة للعهد ، لكن عرضت على أحوال وأشغال ، أرجو أن تكون لى عذراً عندك وأن الذى يعلم السر وأخفى ، إنى ما حلت عن عهدك ، ولا رجعت عن ودّك ؟

٩ — إن بعد مزارنا بعد قرب ، لما باعد ذلك بحمد الله قلباً من قلب ، ولا حل مما بيننا عقداً من ودّ ، ولا منع من محافظة على عهد ؛ وإن انقطعت منا المكاتبة أحياناً بسبب علة أو أشغال ، فحبل المودة لا ينقطع لانقطاع الكتب ؛ وقد جعل الله مودّتنا عند بعض مبرأة من التقصير ، وفى حال غنية عن المعاذير ، فأدعو الله بأن يعيدك إلى أحسن ما عوّدك به ؟

١٠ — إن كنا قطعناك ، فلماذا كافأتنا بقطيعتك إيانا ؟ ولماذا تخصنا بالذنب دون نفسك ، مع أنك صرت فيه نظيراً ؟ لأنك أنكرت علينا ماركبته ، وطلبت منا ما تركته ، فاحكم لنا عليك ، بمثل ما تحكم به علينا لك ؟

١١ — يعلم الله إنى لم أقصر فى ودّك ، ولم أخن عهدك ، ولم يكن فى القلب منى للبعد عنك مكان ؛ ولكن رأيتك قد مللت مودتى فاتخذت سبيل الهجران ؟

١٢ — أكره أن أصف لك ولنفسى موضع العذر ، وطلب القبول ، فيكون أحدنا مقصراً معتذراً ، والثانى متقبلاً مغتفراً ؛ ولكن أذكرك مافى التلاقى ، من تجديد الوفاق ، وفى التخلف من الخلاف . والله يوفقنا إلى الاتحاد ، ويقينا شر البعاد ؟

١٣ — أما بعد ، فقد جعل الله لنا من صفحك مايتسع لتقصيرنا ، ومن حلمك ما يمنع من إساءة الظن بنا ، فنسأله تعالى أن يعيد ما كان منك لنا ، ويزيد فى ألفتنا بمعاودة وصلك ، واجتماعنا بزيارتك ، وسرّ الله بقربك القلوب ، ومتع بحديثك الأسماع وقر برؤيتك العيون ؟

١٤ — قد فتحت على باب المعاتبة ، وأحوجتنى لأن أغلقه عنى بالمعذرة ، وإقامة الحجة ، فكلفتنى بذلك ما لم يكن لى من قبل عادة أو خلقاً ، ورأيتك تعجلت

فقبلت صيغة لسان كاذب ، أو استولت عليك الظنون والأوهام ، فاسمع وأنصف ، ولا يذهبن بك هوى نفس ، ولا تغلبن عليك قسوة قلب ، فراجع نفسك فيما ذكرت ، واعتذر لها عنى ، وإنى أكتفى بأن أقول لك : أنا أخوك الحافظ لودك ، الصادق فى عهدك ؟

١٥ — جاء كتابك فعلمت منه أن غاشاً ظالماً أتاك بنبأ لم أكن له أهلا ، ولم تكن بقبوله خليقاً ؛ لأنى لم أكن بأشباهه معروفاً ولم يكن على استماع مثله مخوفاً ، فوجد لى فيك سبيلا ، وعندك مستقرا . وكنت أحسب أن منازل إخوانك عندك ، والثقة بهم منك فى حصن حصين ، ومحل مكين ، لا تناله أكاذيب الكاذبين ، ولا أقاويل المفترين ، فوجدتها معلقة فى أيدى السفهاء ؛ فإذا كانت كذلك ، فكيف تبقى على ذلك أخوة ، أو يصلح عليه قلب ، أو يسلم معه صبر ؟ فدع أقوال السفهاء فى الهواء ، وحافظ على الإخاء ، لتنال غاية الوفاء والهناء ؟

١٦ — أنا أعتذر إليك بالشغل ، وأعذرك به ، وأرى أن من سلمت نيته ، وصحت مودّته ، لم يقدح فى الثقة به ، ولم يكن فى تأخير كتبه ورسله ما يزيل إخاءه ، فإنى على الوفاء مقيم ، وللعهد حافظ ، وقلبى ولله الحمد من جهتك سليم ؟

١٧ — شوقى إليك لا يعبر عنه لسان ، وشغفى بك لا يقوى عليه جنان ، وما منعنى عن التحرير إليك إلاّ اشتغال فكرى ، ولعل هذا الكتاب الوجيز ، يكفى للاعتذار عنى أيها العزيز ؟

١٨ — كلما فكرت فى فتور المراسلة بيننا طول هذه المدّة يعترينى الخجل ، حتى أثر فى نفسى أثراً كاد يذهب بحظى وأنسى ، ولا شىء أشدّ على الإنسان

من مؤاخذته لنفسه ، ولا عتاب أوجع من عتب الضمير ، فهل لى بعد ذلك من شفيع عندك يكفر عن تقصيرى فى تأخر رسائلى عنك ؟ ؟

١٩ — إن تأخرى عن مكاتبتك لم يكن نقصاً فى المودة ، أو تقصيراً فى واجبات الأخوة ـ أستغفر الله ـ فالفكر بك مهتم ، والقلب يسأل ، واللسان يذكر ، ولى من أعمالى الكثيرة التى لا تخفى عليك ، ومن حسن نوايا الأخ الطاهرة ، وسجاياه الكريمة الباهرة ، مايدعونى لأن أرجو منه السماح والمعذرة ، وغاية أملى أن تعاملنى بما سبق لك من جميل الصلةِ إلى أن يمن الله علينا بالاجتماع ، ويغنى العين برؤيتك عن السماع ؟

٢٠ — معاذ الله أن أبخل عليك بكتابى ـ وأنت أعز أحبابى ـ أو أنقض ودادى ـ وأنت حالّ بفؤادى ، ومتى علمت أن التقصير شيمة فى أخيك حتى أتأخر عن خدمة أحبّ الناس إلىّ ؟ بل كلى طوع أمرك ، ورهن إشارتك ؟

٢١ — علمت بأن عتبك موصول بأسباب حلمك ، فكنت على يقين من عفوك ، ولقد ذكرت سابق ودّك ، وصادق عهدك . فأراحنى حسن الظن بك ، من تكلف الاعتذار إليك ؟

٢٢ — بِمَ يعتذر إليك من لا يرى لنفسه عذرا ؟ وكيف يستتر من عتبك من لا يستطيع لذنبه سترا ؟ بل كفانى من العتب تعنيف نفسى على ما ألقيت عليها من المسئولية ويعلم الله أن هذا التقصير لم يكن شيئاً أردته ، أو أمراً قصدته ، ولكن هى الأيام لم تعط قياداً ، ولم تنل الإنسان مراداً .

وإنى أرجو أن أبقى بين يدى مودتك منظوراً ، وألاّ يكون عجزى شيئاً

مذكوراً ، وأن تجرى على عادة حلمك إلى أن يجمع الله الفريقين ، ويغنى العين عن الأثر برؤيا العين ؟

٢٣ — الإنسان محل النسيان ، وشأن الإخوان التسامح والغفران ، والمحبة ستار العيوب ، وماحية للذنوب ، وان ما بيننا من المحبة الخالصة ، والمودة الصادقة ، لا يستوجب عتباً ، ولا يقتضى نفوراً وبغضاً . فإن حصل منى بعض التقصير ، فلا تبادر بالنكير والتعزير ، وأحسن الظن بأخيك ، واصفح الصفح الجميل . فقلما صفا ودّ من كدر ، أو خلصت محبة من حسد ، وإنى لمعترف بأن ما بدر منى وقع عن غلط ، وقد ندمت على ما فرط ، ومن اعترف وندم فقد تاب ، ولا لوم عليه ولا عتاب ؟

٢٤ — لو كان سيدى ممن يؤثر عليه بقوة الاعتذار ، وشدة البيان فى الاستغفار ، لبالغت له فى تمثيل عذرى ، ورضيت تصغير نفسى وتنزيل قدرى ، لأجعلهما وسيلة فى طلب رضاه ليحسن بى الموقف ، وليقول لى رضيت عنك؛ ولكن علمى بما للسيد من الميل لجانب الحق ، وحبه فى راحة الخلق ، يدعونى لأن أبعث إليه بهذه الرقعة ، لتمثل له عنى تلك الحالة ، لا لأنى مذنب هفوت ؛ ولكن استبقاء للمودة ، وحباً فى دوام الصحبة ؟

٢٥ — عاتبتنى ياسيدى ـ فدتك نفسى ـ على لزوم البيت وقلت : إن الحىّ إذا لم يخرج منه كالميت ، كأنك لا تعلم أن الخروج إذا كان غير مفيد كانت العزلة خيراً منه ، لا سيا فى هذا الزمان الذى عز فيه وجود الإخوان الأوفياء ، حتى صار وجودهم أعز من العنقاء ، ومضى الأحرار ، ورحل الأخيار ، وبقى الأشرار الذين يهتكون الأعراض ، ويعيثون الفساد فى الأرض ، ويبتذلون نفوسهم ، ولا يراعون إحساسهم . فأرجو إن عرفتهم عذرتنى كما عزلتنى ، والسلام ؟

٢٦ — صديق المحترم

ما شغلنى عن كتابة كتبك المتواصلة ، ورسلك المتراسلة ، نقض عهد ، أو تغير ود ، أو خمود وجد ، أو حدوث صد لحادث بعد ، أو لهو بصديق عنك ، أو اكتفاء برفيق أرفق منك ، أو تنقل فى الإخاء ، حاشاى أن أنقض ميثاق ، أو تخمد أشواق ، أو يطول لسواك إحداق ، أو تتغير عليك للنوى أخلاق ، وإنما هى الأشغال كالأطواق ، والأغلال فى الأعناق .

فذاك عذرى وإنى | بما جنيت مقر
فاغفر وإلا فعاقب | لكن فى العفو أجر

هذا ، وأسأل الله أن تكون يا صديق فى صحة وعافية ، ونعمة ضافية ، وراحة وافرة وافية ، وحال مرضية ، وأتضرع إليه أن يمن علينا بتلاق ما بعده فراق ؛ والسلام ختام؟

٢٧

مولاى ما خنت الوداد | الله يشهد والرشاد
بل صنت عهد مودتى | فى القرب صوناً والبعاد
وبذلت فى صلة العلا | ئق كل جهد واجتهاد
ونذرت للرحمن صو | ماً عن سواك من العباد
وإذا جرت ذكراك قلـ | ـت : أقام فى أى البلاد ؟
حتى أغالط حاسداً | وألذ بالذكر المعاد
كيف السؤال عن المقا | م وأنت حل بالفؤاد ؟
ولقد سبقتَ إلى العتا | ب فقلتَ من سبق المراد
غالطتنى فيه لتخـ | ـلص من ملامى فى الرشاد

فلكم بعثت رسائلى معه تذكرك الوداد
فنسيتها ونسيتنى وقدحت للهجر الزناد
وتركتنى أرعى السها وأذوق لوعات السهاد
لكننى راضٍ بما ترضى ولو خرط القتاد
فأنا الأسير وليس لى مما قضى مولاى راد
ولئن تقربنى إليك فإن شوقى فى ازدياد
ولئن تباعدنى فعهدى ليس ينقضه ابتعاد
دامت مودتنا ودمت بنعمة فوق المراد

٢٨ — لا تظن سيدى أن بعد الشقة ينسينى إياك وأنت حاضر فى قلبى ، متجول بروحك اللطيفة فى ضميرى ، منطبع مع أدبك وحبك فى نفسى .

وإنما تأخرت عن مراسلتك فى هذه المدة الأخيرة لانحراف ألم بصحتى ، وألزمنى الفراش أياماً كنت فى خلالها أقاسى مع ألم المرض ، ألم وخز الضمير عن إهمالى مكاتبتك . والآن وقد برئت من مرضى ، وتمثلت إلى العافية ، فقد كتبت لك هذا الاعتذار إليك أبشرك بتمام شفائى ، ولا شك أنك ستقابل عذرى بالقبول ، كما تقابل بُشرى شفائى بالفرح والسرور . أسأل الله ألا يحرمنى من نعمة مودتك ، ويبقى لك حياتك والسلام ؟

٢٩ — لو كنت تشهد ما عندى من كثرة الأشغال الهامة التى تستغرق كل أوقاتى لكفيتنى مؤونة الاعتذار عن مقاطعتى إياك كل هذه المدة .

وما أسعدنى ! لو عذرتنى على تقصير سالف جاء بالرغم منى ، وبحكم الظروف ! وأسأل الله أن يفسح لى من الوقت ما أستعين به على القيام بالتعويض اللازم مقابل هذا التأخير ، والسلام ؟

٣٠ — ليتنى كنت قادراً على إجابة طلبك ، وسد عوزك من الدراهم لأدفع عنك حملاً طالما شعرت بثقله عند الضيق . واهتماماً بأمرك ، وسعياً فى راحتك قد قصدت كثيراً من أصدقائى لأقترض لحسابى ما يفى بحاجتك ، فعدت خائباً آسفاً على عدم توفيق ، وإنى لفى شدة الخجل من عدم القيام بطلبك ، فأرجوك أن تعذرنى مؤقتاً حتى ييسر الله لى الحال ، فأبادر بإرسال مطلوبك فى الحال ، وأكون قد قمت بأقدس واجب تدفعنى إليه المروءة والأخوة ، وتحرضنى عليه الإنسانية ؟

٣١ — كان من واجبى أن أبادر بتقديم عبارات التهنئة لشخصك المحبوب الموقر فى حينها ؛ ولكن مع الأسف طرأ علىّ من الحوادث ما يمنعنى عن القيام بهذا الواجب المقدس ، وجعلنى أتأسف على ضياع هذه الفرصة التى كنت أريد انتهازها لأقدم لأخوتك دليلاً جديداً على صدق ولائى ، وفرط إخلاصى ؛ وإنى وإن كنت حرمت من ذلك ؛ ولكن قد هنأت القلب قبل اليراع ودعوت الله بأن يوفقك للخيرات ، ويمتعك بالعافية والمسرات ؟

٣٢ — فاجأنى حادث هام منعنى عن مقابلتك ، والوفاء بوعدك ، فأرجوك قبول العذر ، وحسبى تأديباً على إخلاف هذا الوعد أننى حرمت لذة لقائك ، وكفانى مالاقيته من الشدة والألم لمكافحة هذا الحادث الذى صدمنى على غير استعداد ، والله أسأل أن يقينى وإياك شر الحوادث الفجائية ، وأن يعيننا على تحملها بصبر وجلد ؟

٣٣ — تعلم — أيها الأخ — أننى لست ممن يعرضون عن مساعدة الإخوان ، ويقعدُون عن إسعافهم ، واتقائهم مما يصيبهم ، خصوصاً من كان مثلك له علىّ سابق الفضل والمعروف ، فلا يسعنى إلا إسعافك بما يدفع عنك هول المصيبة التى حلت بك ؛ ولكن مع الأسف اعترضنى موانع كثيرة منعتنى وقيدتنى عن

مناصرتك بما يقضى به الوداد ، وتفرضه مقابلة الجميل بمثله ، ولا شك أنك تحمل ذلك محملاً حسناً ، وتقبل عذرى بنية سليمة ؟

وإذا كنت لم تزل مفتقراً إلى معاونتى فأنا رهين إشارتك لأنى بحقوق الأمانة والإخلاص ، وأدرأ عن نفسى وصمة الإهمال والتقصير .

وتقبل تحياتى الأخوية ، وأشواقى القلبية ، والسلام ؟

٣٤ — سيدى الصديق :

كيف تتهمنى أيها الأخ بأنى طعنت فيك وذممتك فى مجلس من الإخوان الأدباء ، فإذا كانت نفسى لم تدفعنى إلى الحرص على سمعتك الفاخرة ، فإن ميلى إلى حسن سمعتى ، وتنزيه نفسى عن مواطن الذل والهوان ، يحدو بى أن أتجنب مذمتك ، لاعتقادى أنه يلصق بى عاران : أحدهما من سلوكى مسلك الخائن مع إخوانه المخلصين ، والآخر من تهمتى إياك بمعايب تتبرأ نفسك الشريفة منها ، وأخشى من أنه متى بلغ إخواننا صدور هذا الفعل القبيح منى يستخفون بى ويعتزلون صداقتى وينسبون إلىّ الغدر والخيانة ويستدلون على انحطاط نفسى وفساد خلقى ، إلى غير ذلك مما يؤذينى ويحقرنى بين أبناء قومى ، على أنك قد جمعت من الأخلاق الفاضلة ، والصفات الحسنة ما يستوجب الحمد والشكر ، فكيف يرضى لسانى بأن يرميك بتهم أنت بعيد عنها ؟ فابتعد رعاك الله عن سماع كلام الوشاة المفسدين الذين يريدون أن يفرقوا بيننا وثق على الدوام بإخلاصى وحبى لك ، والسلام ؟

٣٥ — كنت أتمنى من صميم فؤادى لو قدرت على قبول دعوتك لأفوز بحظ لقائك . ولو كانت وصلتنى هذه الدعوة قبل هذا الوقت بأيام لكنت قضيت

كل الأشــغال التى حالت بينى و بين هذه الأمنية ، والتى لم أستطع تأجيلها اتقاء للضرر الذى يلحق بى .

فأعتذر إليك أيها الصديق آسفاً كل الأسف على ذهاب هذه الفرصة التى أحسبها من خلسات السعد والأنس ، وأدعو الله بأن يتم عليك الأفراح ، و يمتعك بالسرور والهناء ؟

٣٦ — لم يكن ألذ إلى قلبى من حضور الحفلة الرائقة التى ستقام تعظيماً لذكرى عيد ميلادك السعيد ، لا سيما وأنها ستجمع كل صديق أديب ، وأخ مخلص أنيس ، ينشر فيها مناقبك الفاضلة وخلالك الطاهرة ، ولولا تزاحم الأشغال عندى التى لا تحتمل التأخير لـكنت فى مقدمة الحاضرين المهنئين الفرحين بك . على أننى و إن فاتنى الاجتماع معكم بجسمى ، فأنا مشترك بقلبى ، مبتهج لـكم بشعورى وعواطفى ، فاقبلوا عذرى ، وخالص تهنئتى ، آملاً عرضها أمام ذلك المجلس الـكريم ، حتى يعلم أننى من أخلص الناس لك وأعظم تعلقاً بك .

وأدعو الله بأن يعيد عليك هذا العيد أعواماً عديدة ، ممتعاً بكل رفاهية وهناء ؟

٣٧ — كنت أتمنى الحضور فى وليمــــة زفافك ، ولـكن أبى الدهر الخؤون إلا أن يحرمنى هذا الحظ الوافر ، فأذعنت إلى حكمه مكرهاً آسفاً على ابتعادى من الوصول إلى هذه الغاية الشريفة على أننى و إن فقدت سرور هذا الاجتماع ، فإننى فرح بحبك طرب بسـجاياك المحمودة ، مهنئاً نفسى بزفافك السـعيد ، داعياً الله بأن يجعله قراناً مباركاً ، وأن يرزقك الذرية الصالحة ، و يجعل حياتك الزوجية حياة سعيدة موفقة إن شاء الله ؟

٣٨ — لا إخالك أيها الأخ إلاّ واثقاً بإخلاصى لك ، وحبى لخدمتك ونفعك ، والسعى فى كل ما يريحك ويرضيك ؛ على أنه قد يعرض للمرء بعض موانع تعوقه عن القيام بخدمة صاحبه ، وتغل يده عن منـاولة ما تنزع إليه نفسه ، فيرجع خائباً ، وفى القلب حسرات وأنات ، كما هو حاصل لى اليوم معك ، فإن الذى طلبته منى يتجـاوز حد قدرتى ، وكنت أحب أن أتخذ جميع الوسائل لإدراك غايتـك ، ولـكننى على يقين من الفشل والخذلان ، كما بدا لى من بعض الأصدقاء المخلصين لك ، وقد نصحوا إلىّ أن لا أخطو خطوة فى هذا السبيل لما فيه من العقبات والصعوبات .

فمع الأسف الشديد ترانى عاجزاً عن القيام بغرضك ، باسطاً لك عذرى ، راجياً قبوله ، مع خالص تمنياتى بنجاح مرغوبك ، والسلام ؟

٣٩ — كنت أود بكل سرور مشاركتكم فى أفراحكم ، وحضور حفلة زفافـكم ، لأتمتع بنور طلعتكم ، ولـكن مع الأسف أخبركم أنه طرأت علىّ أعذار ضرورية ، وأشغال وقتية ، منعتنى عن الحضور ، فاقبل سيدى عذرى ، وخالص تهنئتى ، وطاهر دعائى بأن يكلل أفراحكم بالتوفيق بين العروسين ، متمتعين بالهناء والرفاء والبنين ؟

٤٠ — هبنى قد عظم ذنبى فصفحك أعظم ، وكبرت جنايتى فعفوك أكبر ، أو زلت قدمى فحلمك أوسع ، أو سلـكت وعراً فهداك أشمل وأقلنى العثار ، وأسبل الستار ، جرعتنى مرارة سـخطك ، فأذقنى حلاوة عفوك ، فنفسى المرضـية لا ترضى سخطك ، ونفسى الأبية لا تأبى عفوك ؟

٤١ — قد بلغنى ما ألم بكم من انحراف المزاج حتى لازمتم الفراش فشملنى من الأسف والحزن ما لا يسعنى تعبيره ، خصوصاً من تقصيرى عن واجب عيادتكم ،

والتمتع بمشاهدتكم ، فقد طرأت عليّ أشغال هامة وقتية ، فلذلك ألتمس من حضرتكم قبول عذرى الدال على صدق الوداد و بقاء الإخاء ، والله أسأل أن يمنحكم شفاء عاجلاً تاماً ، وسروراً عاماً ؟

٤٢ — أنا بعد لذعة الفراق عقب توديعك لم يكن لى من شغل سوى ترداد ذكراك ، والتمدح بمآثرك ، وعد مفاخرك ، وقد عز عليّ يعلم الله فراقك الأليم بعد طول العشرة ، وجميل الصحبة ، وما كان بينى و بينك من توثق عرى المحبة ، وتأكد الصلة ، حتى لقد أثر فى قلبى بعدك عنى تأثيراً جعلنى فى حيرة من أمر مخاطبتك ولهذا تأخرت عنك رسائلى تأخر حيرة وذهول لا تأخر ملل وجفاء ، وقد تبلغ الحيرة بالمحبين أن تمنعهم من الكلام والالتجاء إلى الأقلام . و بعد ، فقد ورد خطابك فى نظام من البلاغة ما شك امرؤ أنه نظام فريد ، فتناولته بالقلب لا بالبنان . فلك الشكر على حسن عنايتك ، وأن الذى تشكرنى عليه فى خطابك ما هو إلا بعض الواجب عليّ ، وغاية رجائى من حضرتكم أن تجعل صلة الود بيننا موصولة مأهولة ، والسلام ؟

٤٣ – حلاوة الاعتذار

كتب حافظ بك ابراهيم الشاعر الكبير إلى شوقى بك معتذراً عن حضوره حفلة الزواج الكبرى فى (كرمة بن هانى) :

ياسيدى و إمامى	و يا أديب الزمان
قد عاقنى سوء حظى	عن حفلة المهرجان
وكنت أول ساع	إلى رحاب (ابن هانى)
لكننى مرضت لنحسى	فى يوم ذاك القران
وقد كفانى عقاباً	ما كان من حرمانى

حرمت رؤية شوقى | ولثم تلك البنان
فاصفح فأنت خليق | بالصفح عن كل جان
وعش لعرش المعانى | ودم لتاج البيان
إن فاتنى أن أوفى | بالأمس حق التهانى
فاقبل منى قضاء | وكن كريم الجنان
فالله يقبل منا الصـ | ـلاة بعد الأوان

٤٤ — لبهاء الدين فى استعادة الوداد كما كان :

من اليوم تعارفنا | ونطوى ماجرى منا
ولا كان ولا صا | ر ولا قلتم ولا قلنا
وإن كان ولا بد | من العتب فبالحسنى
فقد قيل لنا عنكم | كما قيل لكم عنا
كفى ما كان من هجر | فقد ذقتم وقد ذقنا
وما أحسن أن نر | جع للود كما كنا

٤٥ — حضرة الصديق الفاضل :

يقولون إن المعتذر الذى يجىء حاملاً لواء الاعتذار ليضعه أمام من اقترف معه جريمة التقصير ليمهد له عنده سبيل العفو والغفران ، وليمنحه من لدنه منحة الرضا والسماح ، يفسح له فى جانب القلب منزلاً يسكن خاطره ، ليكون واثقاً بقبول عذره ونسيان ما فرط منه ، وهوقول يؤيده الإنصاف ، ويرتاح له ضمير العدل بلا خلاف ، حتى لو كان المعتذر منتحلاً العذر ومتقصده ؛ لأن الأمر على ظاهره يوجب له الإغضاء ، ويحتم لجريمته العفو ، بصرف النظر عما استتر من الأمور ، فإن استقصاءها من الضمير

والوصول إليها من طريق القلب محال ، لم يحاوله إنسان من قبل ، ولن يحاوله بعد ، فبقى أن نكتفى بظواهر الأمور وهو ما نحن بصدده الآن . قال الشاعر :

فقد أطاعك من لا يرضيك ظاهره وقد أجلك من يعصيك مستترا

بعد هذه المقدمة أبسط لك عذرى ، وهو والله عذر لم أنتحله ولم أحاول أن أغطى به حقيقة واضحة ثابتة .

جاءنى جوابك الأول ، وتلاه الثانى ، وكنت بين تلك الفترة بين أشغال يقف من دونها يراع كاتب اليمين وكاتب الشمال ومرض أخذ يضرب بمعوله فى جسم ضئيل فابتدأ من الرأس إلى القدم ، فكرّه إلىّ الحياة على كرهها للأول ، وساورنى مساورة العدو الذى يناضل قرنه ، ولا أطيل عليك فقد أعاننى الله عليه وانتصرت أخيراً وخرجت منه قوياً شديداً .

سافرت إلى الأرياف بإجازة لترويح النفس من عناء الأعمال وقضيت حوالى الستة أيام كنت كلما فكرت فى نفسى أجدك حاضراً أمامى لتمثيلك فى خاطرى ، واشتياقاً إلى محياك ، ولا بد أن يكون هذا الإحساس هو الذى جلب علىّ السرور فى مدة إقامتى ، وأكسبنى عافية عوضت بها ما سلبنى إياه المرض .

فلما حضرت إلى مصر أخذت اليراع وكتبت لك هذا باسطاً لك ما كان من أمرى ، راجياً ألا يكون فى نفسك أثر من أنواع الغضب أو التغيير ، فتنقلب حقيقة ما أبديته فى فؤادك إلى نوع من أنواع اللوم أو العتاب ، على أننى أرجو ألا يكون شىء من ذلك . وفى الختام أهديك عاطر السلام وأزكاه ؟

٤٦ — صديقى المفضال :

تناولت خطابك فرحاً مسروراً فقلت : الله أكبر ما أعظم شأنك ، وأعز سلطانك .

فوجدته يدور فى باب اللوم والعتاب وحملت علىّ حملة قاسية ، وصدمتنى صدمة مؤلمة، وتتهمنى يا ابن ودى بقلة الإنصاف ، وشدة القسوة فى معاملة الإخوان والأصحاب ، فما أقساك وما أظلمك ! سامحك الله ، وحمانى من هذه التهمة التى لم يتهمنى بها أحد سواك، يعلم الله أنى لا أنسى الأحباب ما دمت حياً ، حافظ للود ، باق على العهد ، رءوف بإخوانى و إن هجروا ، شغوف بلقائهم و إن ضنوا .

ولم يمنعنى من زيارتك أو مكاتبتك سوى كثرة المشغولية والأعذار القوية ، و إنى و إن كنت أهملت كما تقول زيارتك وقطعت كتبى عنك ، فلماذا كافأتنى بقطيعتك إياى ؟ ولماذا تخصنى بالتقصير دون نفسك مع أنك صرت فيه نظيراً ؟ فاحكم لى عليك ، بمثل ما تحكم به علىّ لك إن كنت محباً للحق والعدل والله خير الحاكمين؟

تسألنى التنصل من مودتك ، والخروج من صحبتك ، فما أصعب هذا السؤال ! وما أشده وقعاً علىّ !

إن كنت ترى أننى وقعت فى ذنب خطر ترجونى التنصل منه ، أو مأزق حرج تلتمس لى الخروج منه لفعلت ؛ ولكن كيف أتنصل من مودة أنا واضع أساس بنيانها عامل على بقائها وحفظ كيانها ؟

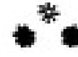
ومع هذا كله فإننى أشكرك على عتابك القاسى ، وأكتفى بأن أقول لك : أنا أخوك الصادق فى عهدك ، الحافظ لودك ، فى بعدك وقربك . والسلام عليك ما طلعت فى السماء شمس ، و بقيت فى الوجود نفس م؟

المخلص

حسن الاعتذار

و إنى و إن أخرت عنكم زيارتى	لعذر فإنى فى المحبة أول
فما الود تكرار الزيارة دائماً	ولكن على ما فى القلوب المعوّل

لست عن ودّ صديق سائلاً غير قلبي فهو يدرى ودّه
فكما أعلم ما عنـــدى له فكذا أعلم ما لى عنده



إذا كنت فى كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه

٤٧ — رسالة الثعالبي فى قبول المعذرة

قد نزع الله ما كان فى صدرى من غلّ ، وجعلت فلاناً مما سلف منه فى حل انطفأت تلك الوقدة ، وانحلت تلك العقدة ، وزال سكر الغيظ ، وسكت لسان الغضب ، ووصل فلان حبل الأخوة ، ورباً أسباب المودّة ، وطوى بساط الوحشة . وقد زال العتاب ، وانقطع الملام ، وصار إلى الحسنى ، ورق الكلام .

وقد عفا عذرك معالم الجرم ، ولا يبق من العتب اسم ولا رسم ؟

٤٨ — كتب الجاحظ فى الاعتذار

أما بعد ، فنعم البديل من الزلة الاعتذار ، و بئس العوض من التوبة الاصرار ، وإن أحق من عطفت عليه بحلمك ، من لم يستشفع إليك بغيرك ، وإننى بمعرفتى ببلوغ حلمك وغاية عفوك ضمنت لنفسى العفو من زلتها عندك ، وقد مسنى من الألم ما لم يشفه غير مواصلتك ؟

٤٩ — وكتب الخوارزمى معتذراً عن تأخر رد جواب

ماتأخر جواب كتاب سيدى جهلا بحقه اللازم الواجب ولا إنكاراً لفضله المتراكم المتراكب ؛ ولكنى تحريت وقتاً ينشط فيه اللسان للبيان ، والبنان للجريان ، ويوماً

يحسن فيه الدهر، وينشرح فيه الصدر، ويقل فيه الفكر، فلا والله ما وجدته.

وقد كنت أشتاق إلى غدي، فأنا الآن ألهف على أمسي، وما من وقت كرهته إلا وأنا أحن إليه، ولا من يوم بكيت منه إلا بكيت عليه؟

٥٠ — حضرة أخي الفاضل

إني وإن منعت عنك الرسائل فقلبي رسولك، أو قطعت العلائق فقلبي معلق بك.

وكيف أجفو أخاً استوثقت من إخائه؟ أو أسلو صديقاً تحققت صدق ولائه؟ لكنه اعتراني مرض ألزمني الفراش، وكلما آنست من نفسي شفاء وعافية، وهممت أن أكتب لك عاودني المرض، حتى سبقتني بكتابك هذا، فجزاك الله عني خيراً، وجعلك دائماً أخاً صادقاً مخلصاً؟

مكاتبات الاستعطاف

١ — كتاب عبد الله بن الحسن العلوى إلى المأمون
يستنجده ويستعطفه لما أصاب أهل مكة سنة ثمان ومائتين
السيل الذى شارف الحجر الأسود ومات تحت هدمه خلق كثير

يا أمير المؤمنين

إن أهل حرم الله، وجيران بيته، وألاف مسجده، وعمرة بلاده قد استجاروا بفيء (ظل) معروفك من سيل تراكمت أحداثه فى هدم البنيان، وقتل الرجال والنسوان، واجتياح الأموال، وجرف الأمتعة والأثقال، حتى ما ترك طارفاً ولا تالداً يرجع إليهما فى مطعم أو ملبس، قد شغلهم طلب الغذاء عن الاستراحة إلى البكاء،

على الأمهات والأولاد ، والآباء والأجداد ، فآجرم يا أمير المؤمنين بعطفك عليهم ، وإحسانك إليهم ، تجد الله مكافئك عنهم ، ومثيبك عن الشكر لك منهم .

٢ — رسالة السيدة زبيدة زوجة الرشيد إلى المأمون بعد قتله ابنها الأمين تستعطفه

كل ذنب يا أمير المؤمنين وإن عظم صغير فى جنب عفوك ، وكل إساءة وإن جلت يسيرة لدى حلمك ، وذلك الذى عودكه الله ، أطال مدتك ، وتمم نعمتك ، وأدام بك الخير ، ودفع عنك الشر والضير .

وبعد ، فهذه رقعة الولهى التى ترجوك فى الحياة لنوائب الدهر ، وفى الممات لجميل الذكر ، فإن رأيت أن ترحم ضعفى واستكانتى وقلة حيلتى ، وتصل رحمى ، وتحتسب فيما جعلك الله له طالباً ، وفيه راغباً فافعل ، وتذكر من لو كان حياً لكان شفيعى لديك.

فكتب المأمون جواباً إليها فى المواساة

وصلت رقعتك يا أماه ، أحاطك الله وتولاك بالرعاية ، ووقفت عليها ، وساءنى ـ شهد الله ـ جميع ما أوضحت فيها ؛ لكن الأقدار نافذة ، والأحكام جارية ، والأمور متصرفة ، والمخلوقون فى قبضتها لا يقدرون على دفاعها ، والدنيا كلها إلى الشتات ، وكل حى إلى الممات ، والغدر والبغى حتف الإنسان ، والمكر راجع إلى صاحبه .

وقد أمرت برد جميع ما أخذ منك ، ولم تفقدى ممن مضى إلى رحمة الله إلا وجهه. وأنا بعد ذلك لك على أكثر مما تختارين ، والسلام ».

٣ — رسالة الثعالبى

الكريم إذا قدر غفر ، وإذا أوثق أطلق ، وإذا أسر أعتق ، قد هربت منك

إليك ، واستعنت بعفوك عليك ، فأذقني حلاوة رضاك عنى ، كما أذقتني مرارة انتقامك منى . الحرُّ كريم الظفر إذا نال أقال ، واللئيم إذا نال استطال . قد هابك من استتر ، ولم يذنب من اعتذر تكلف الاعتذار بلا ذلة ، تكلف الدواء بلا علة .

مولاى يوجب الصفح عند الزلة ، كما يلزم البذل عند الخلة ، مولاى يوليني صفيحة صفحه ، ويؤتيني العفو من عفوه ، زللت وقد يزل العالم الذى لا أساويه ، وعثرت وقد يعثر الجواد الذى لا أجاريه ، لا تضيقن عنى سعة خلقك ، ولا تكدرن علىّ صفو ودّك ، مالى ذنب يضيق عنه عفوك ، ولا جرم يتجافى تجاوزك وصفحك .

٤ — وكتب أبو العيناء إلى عبيد الله بن سليمان

أنا أعزك الله وولدى وعيالى زرع من زرعك ، إن أسقيته راعَ (نما) وزكا ، وإن جفوته ذبل وذوى ، وقد مسنى منك جفاء بعد برّ ، وإغفال بعد تعاهد ، حتى تكلم عدو ، وشمت حاسد ، ولعبت بى ظنون رجال كنت بهم لاعباً ، ولهم مُحرساً .

لا تُهنِى بعد أن أكرمتنى وشــدّ يد عادة منتزعة

٥ — استعطاف الفضل بن الربيع للمأمون

قال المأمون للفضل بن الربيع لما ظفر به :

يا فضل أكان من حق عليك وحق آبائى ونعمهم عند أبيك وعندك أن تَثلبنى وتَسُبّنى وتحرض على دمى ؟ أتحب أن أفعل بك ما فعلته بى ؟

فقال : يا أمير المؤمنين إن عذرى يُحْقِدُك إذا كان واضحاً جميلاً فكيف إذا أخفته العيوب ، وقبحته الذنوب ؟ فلا يضيق عنى من عفوك ، ما وسع غيرى منك ، فأنت كما قال الشاعر فيك :

صفوح عن الإجرام حتى كأنه ... من العفو لم يعرف من الناس مجرما
وليس يبالى أن يكون به الأذى ... إذا ماالأذى لم يَغش بالكُره مسلما

(معراج البيان)

٦ — من رسالة استعطاف ابراهيم بن المهدى للمأمون

يا أمير المؤمنين

قد جعلك الله فوق كل ذى ذنب ، كما جعل كل ذى ذنب دونك ، فإن أخذت فبحقك ، و إن عفوت فبفضلك « والعفو أقرب للتقوى » ثم قال :

ذنبى إليك عظيم ... وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أولا ... فاصفح بفضلك عنه
إن لم أكن فى فعالى ... من الكرام فكنه

(معراج البيان)

٧ — استعطاف تميم بن جميل للمعتصم وهو واقف أمامه بين السيف والنطع (١) .

يا أمير المؤمنين — إن الذنوب تُخرس الألسنة الفصيحة وتُعيى الأفئدة الصحيحة، ولقد عظمت الجريرة ، وانقطعت الحجة وساء الظن ، ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك، وأرجو أن يكون أقربهما منك ، وأسرعهما إلى ، أشبههُما بك ، وأولاهما بكرمك ثم قال على البديهة :

أرى الموت بين السيف والنطع كامناً ... يلاحظنى من حيثما أتلفت
وأكبر ظنى أنك اليوم قاتلى ... وأى امرئ مما قضى الله يُفلت

---

(١) النطع بساط من الجلد يفرش تحت من يراد قتله حتى لا يسقط دمه على الأرض .

وأى امرئ يأتى بعـذر وحُجة — وسيف المنايا بين عينيه مُصلَت
وما جزعى من أن أموت وإننى — لأعلم أن الموت شىء مؤقت
ولـكن خلفى صبيةً قد تركتهم — وأكبادهم من حسرة تتفتت
كأنى أراهم حين أنعى إليهـم — وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا
فإن عشت عاشوا خافضين بغبطة — اذود الردى عنهم وإن مُتُّ مُوِّتوا
وكم قائل الا يُبعد الله روحَـه — وآخـر جَذلان يُسر ويَشمت

(عن كتاب معراج البيان)

٨ — استعطاف الجاحظ لمحمد بن عبد الملك الزيات

أعاذك الله من سوء الغضب ، وعصمك من سرف الهوى وصرف ما أعارك من القوة إلى حب الإنصاف ، ورجّح فى قلبك إيثار الأناة (الحلم) فقد خفت — أيدك الله — أن أكون عندك من المنسوبين إلى نزق (طيش) السفهاء ، ومجانبة سبل الحكماء إلى أن قال :

واعلم أيدك الله أن شَين غضبك علىّ كزين صفحك عنى وإن موت ذكرى مع انقطاع سببى منك كحياة ذكرى مع اتصال سببى بك . واعلم أن لك فطنة عليم ، وغفلة كريم ، والسلام

(معراج البيان)

٩ — استعطاف رجل من أهل الشام المنصور

يا أمير المؤمنين — من انتقم فقد شفى غيظه وانتصف ، ومن عفا تفضل ، ومن أخذ حقه لم يجب شكره ، ولم يُذكر فضله وكظم الغيظ حلم ، والتشفى طرف من

الجزع ، ولم يمدح أهل التقوى والنهى من كان حليماً بشدة العقاب ؛ ولـكن بحسن الصفح والاغتفار وشدة التغافل .

وبعد ، فالمعاقب مستودع لعداوة أولياء المذنب (والأهل والأقارب) والعافى مسترع لشكرهم آمن من مكافأتهم ؛ ولأن يُثنى عليك باتساع الصدر خير من أن توصف بضيقه .

على أن إقالتك عثرات عباد الله ، موجبة لإقالة عثرتك من ربهم ، وموصولة بعفوه ، وعقابك إياهم موصول بعقابه .

قال الله عز وجل :

« خُذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين »

(معراج البيان)

١٠ – استعطاف للخوارزمى

كيف يقدر – أبقى الله الشيخ – على الدواء ، من لا يهتدى إلى أوجه الداء ؟ وكيف يُدارى أعداءه من لا يعرف الأعداء من الأصدقاء ؟ أم كيف يسرى بلا دليل فى الظلمة ؟ أم كيف يخرج الهارب من بين الأرض والسماء ؟

الـكريم – أيد الله الشيخ – إذا قدر غفر ، وإذا أوثق أطلق ، وإذا أسر أعتق ولقد هربت من الشيخ إليه ، وتسلحت بعفوه عليه ، وألقيت ربقة (عروة) حياتى ومماتى بيديه ، فليذقنى حلاوة رضاه عنى ، كما أذاقنى مرارة انتقامه منى ، ولتلُح (تظهر) على حالى غرة (أثر) عفوه ، كما لاحت عليها مواسم غضبه وسطوه . وليعلم أن الحرّ كريم الظفر إذا نال أقال ، وأن اللئيم لئيم الظفر إذا نال استطال .

وليغتنم التجاوز عن عثرات الأحرار ، وليتنهز فرص الاقتدار ويعتقد أنه قد هابه من استشر ، ولم يذنب إليه من اعتذر ، وفق الله تعالى الشيخ لما يحفظ عليه قلوب أوليائه ، وعصمه مما يريد به فى محاجم أعدائه ؟

١١ – استعطاف ابن الرومى للقاسم بن عبيد الله

ترفع عن ظلمى إن كنت بريئاً ، وتفضل بالعفو إن كنت مسيئاً ، فوالله إنى لأطلب عفو ذنب لم أجنه ، وألتمس الإقامة مما لا أعرفه لتزداد تطولاً (إنعاماً) وأزداد تذللاً وأنا أعيذ حالى عندك بكرمك من واش يكيدها ، وأحرسها بوفائك من باغ يحاول إفسادها ، وأسأل الله أن يجعل حظى منك بقدر ودى لك ، ومحلى من رجائك بحيث استحق منك ، والسلام ؟ (معراج البيان)

١٢ — إنى أستعطفك بالإقرار بالذنب ، وأستميلك بالاعتراف بالذلة ، وألتمس عفوك ورضاك ؟

١٣ — لست ألوذ إلا بباب عفوك ، ولا أعتمد فى محل الإساءة إلا على حلمك وكرمك ؟

فمثلك من يقيل العثرات ، ويتجاوز عن الهفوات ؟

١٤ — أيها العزيز :

قد مسنا وأهلنا الضر ، وأخنى علينا الزمان المر ، وعمنا التفرق والشتات ، من بنين وبنات ، فصرنا فى أحط الدرجات ، نقاسى غُصص الدهر ، وألم القهر ، فاحتسب الأجر الجزيل ، وتقبل الشكر الجميل بنظرة كريمة منك تحيينا وتنعشنا ، وأحسن إلينا إن الله لا يضيع أجر المحسنين ، وهو ولى الصابرين ، والسلام ؟

١٥ — أنا يا سيدي ـ أعزك الله ـ على ضيقتي ، وسوء حالتي ، في عزة نفس ، وغنى عن الناس ، ولم أقع في يأس ، وفي كل آن أحمد الله الواحد المنان ، عالماً بأن الغنى غنى النفوس ، لا غنى الأموال ، وكذا الفقر في ضعف العقول ، وموت القلوب ، لا في الأحوال ، والله علام الغيوب ، فإن لم تعطف عَلَيّ فالله خير مأمول ، وأكرم مسئول ؟

١٦ — إن كانت ذنوبي سدّت مسالك الصفح عني ، فلي الرجاء في ساحة كرمك ، والأمل في سامي عفوك ، وإني لا أرى موقفاً أذل من موقفي ، لولا المخاطبة فيه لك ، وطلب الرضا منك ؟

١٧ — أكتب لسيدي هذا الكتاب ، وأرجو أن أكون قريباً من نظره ، قريباً من فكره ، فيسعدني بقراءته ، ويعفو عني بمطالعته ، لأنه أعلم بعذري مني ، وجدير بالعفو عني ؟

١٨ — أنا وأولادي من كرمك ، وعائشون تحت ظلك ، وقد مسني منك جفاء بعد برّ ، وحرمان بعد إحسان ، حتى تكلم عدوّ ، وشمت حاسد ، ولعبت بي أناس كنت بهم لاعباً ، فوشرفك لا تردني خائباً ؟

١٩ — سيدي :

الكريم إذا قدر غفر ، وإذا أوثق أطلق ، وإذا أسر أعتق . وقد هربت منك إليك ، واستعنت بعفوك عليك ، فأذقني حلاوة رضاك عني ، كما أذقتني مرارة غضبك مني ؟

٢٠ — ضاقت بى الحال إلا إليك ، وخابت منى الآمال إلا فيك ، ورغبت نفسى الأبية إلا عنك ، وضاعت ثقتى بالناس إلا بك ، وأناخ عَلَىّ الدهر ، وغدر بى الزمان ، فألبسنى ثوب بلائه ، وجرعنى شديد عنائه ، فجئتك مكروباً ففرج كربتى ، وقصدتك آملاً فحقق طلبتى ؟

٢١ — زللت وقد يزل الكبير الذى لا أساويه ، وعثرت وقد يعثر الجواد الذى لا أجاريه ، فلا تضيقن عَلَىّ سعة حلمك ، ولا تكدرن عَلَىّ صفو ودك ، فما لى ذنب يضيق عن عفوك ، أو جرم يكبر عن صفحك ؟

٢٢ — ليس عندى — أعزك الله — سبب إليك ، ولا شفيع لديك غير كرمك المعهود ، ولواء حلمك المشهود . فهل لك أن تكون معف ؟ لأكون شاكراً؛ وإنك لخير من تحسن به السيئة ، ويكسب المنة ، ويعود به الشر خيراً ، ويعفو إحساناً وبراً ؟

٢٣ — إن جنيت على نفسى ، وجاوزت الحد فيما يجب ، فإنى لا أزال عبد نعمتك ، وأسير منتك . وإن عظم ذنبى ، وضاق باب التوبة عن قبول عذرى ؛ وإنى طامع فى أدبك الكامل ، وعفوك الشامل ، وإلا فأنا بين يديك ، والأمر منك وإليك ؟

٢٤ — الذنب وإن عظم صغير فى جانب عفوك ، والزلل وإن حل هين إزاء صفحك ، وإنها لنعمة من الله أوصلها إليك ، وأسبغها عليك ، لفعل الخير ، ودفع الشر ، فإن أردت أن ترحم ضعفى فى الاعتذار ، وعجزى عن الاصطبار ، وقلة حيلتى، فاسعفنى بالجواب المستطاب ، فأنت وسيلتى ، وتمسك بقوله تعالى : إلا من تاب ؟

٢٥ — يسطو الزمان فيجعل المستقيم معوجاً ، والساكن مضطرباً مرتجاً، والمستوى قد ينحنى ، والحديد الصلب قد ينثنى ، ولكل عالم هفوة ، ولكل جواد كبوة ، ولا يخلو أحد من الزلل ، ولا الصحيح من العلل ، وشيمة الكرام الصفح عن العثرات ، والعفو عن الهفوات ، لا سيما من اعتذر وتاب ، فجزاؤه أن تقبل توبته ، وتغفر خطيئته ، فأملى فى حلمكم ، أن لا أحرم من عفوكم ؟

٢٦ — الحقيق بالعفو منك ، من لم يتشفع بغيرك إليك ، ومن يتقدم بالاعتذار مقراً بذنبه ، ملتمساً التوبة من ربه ، وإننى بمعرفتى مقدار حلمك ، قد ضمنت لنفسى جميل عفوك ؟

٢٧ — قصدت السبيل إلى رضاك والتماس عفوك فما وجدت الدليل ، ولكن هدتنى إليك أخلاقك المرضية ، ودلتنى عليك نفسك الطيبة ، فجئت بكتابى هذا أسأل عفواً وسماحا ، باسطاً نحوك يد الرجاء ، ولم أبسط لغيرك يداً ، وقد وضعت ببابك أملى فى قبول رجائى :

إنى رجوتك سـيدى فمن السماحة أن تجيبـا

ومثلك من لا يضيع ببابه الأمل ، ولا يخيب عنده الرجاء ؟

٢٨ — يحزننى أن أراك غير راضٍ عنى ، فإن كان ذلك لهفوة وقعت منى ، فتفضلك يغفرها ، أو غلطة فرطت ، فحلمك يسترها ، وإنى ممن يعمل فيهم الكلام ، بأشد من الحسام ، فعاملنى معاملة الكرام ، وكف عن الملام ، والسلام ؟

٢٩ — لقد ذكرني لقاؤك بالأمس أيامي السالفة لديك ، وما نلت فيها من الخير والإحسان على يديك ، فذبت ندماً وتحسراً أسفاً على ما فرط مني ، ثم ذكرت ذنبي العظيم الذي ارتكبته نحوك ولم أرَ للعذر سبيلاً ، فعساك أن ترحمني ، وتعاملني بالعفو الجميل ، فما أحسن ما قيل :

لمـــا عفوت ولم أحقد على أحد أرحت نفسي من غم العداوات

إني أحيي عدوي عند رؤيتـــه لأدفع الشر عني بالتحيـــات

وأظهر البشر للإنسان أبغضـــه كأنه قد حشى قلبي محبـــات

٣٠ -- رسالة من بائس فقير إلى أمير خطير

مولاي ضاقت بي الحال إلاّ إليك ، وخابت مني الآمال إلاّ فيك ، ورغبت نفسي الأبية إلا عنك ، وضاعت ثقتي بالناس إلا بك ، توالى عليّ الدهر بنكباته ، وطاردني بدهم دهمائه ، وحمل عليّ أشد حملاته ، فألبسني ثوب هونه و بلائه ، وأذاقني كأس مره وعنائه ، وأوردني موارد ذله وهوانه ، فأتيتك كارباً ففرج كربتي ، وقصدتك آملاً فحقق طلبتي .

سألتك يا مولاي ، فتكرم بإجابة سؤالي ، ورجوتك سيدي فتفضل بقبول رجائي . لا زلت ملجأ القاصدين ، ومؤمل الآملين ؟

٣١ — هبني قد عظم ذنبي فصفحك أعظم ، أو كبرت جنايتي فعفوك أكبر ، أو زلت قدمي فحلمك أوسع ، أو سلكت وعراً فهداك أشمل ، فأقلني العثار ، وأسبل الستار ، جرعتني مرارة سخطك ، فأذقني حلاوة عفوك . فنفسي المرضية لا ترضى سخطك ، ونفسي الأبية لا تأبى عفوك ؟

٣٢ — صاحب السعادة المفضال :

يعز عَلَيّ ـ يا سعادة المدير ـ أن تكون غير راضٍ عنى ، وأ كون محروماً من عنايتك ورعايتك ، على أنى والله يعلم لم أقصر فى واجبى ، ولم أتحول عن إخلاصى لك ، باذلاً كل قواى فى سبيل رضاك ، ولا أدرى أى ذنب اقترفته أوجب لى هذا الحرمان ؟ ولأى سبب أستحق منك أن أطرح فى زوايا الإهمال والنسيان ؟ إن التأخر والحرمان يوجبان كثرة الأحزان ، ويوقعان فى الذل والهوان . فهل يرضيك ياسعادة المدير ، أن أعيش بين الإخوان ذليلاً مهاناً ؟ وأنت المشهور بالخلق الحسن ، والقلب الرحيم . ولقد آثرك الله علينا ، وجعلك ولى أمرنا ونعمتنا ، وجعلنا فى ذمتك ، نعيش فى كنفك ، ونحيا برعايتك .

فهل لك أن ترحم شخصى الضعيف ؟ فترحم منى أولاداً صغاراً فى حاجة لعطفك وحنانك ، وأن تنجى نفساً تقدر صنع الجميل ، وأن تشفق بفكرى الذى استولى عليه الكدر واليأس حتى كادا يذهبان بصحته وحياته ، وأصبح حيران مشتت البال ، لا يدرى كيف يعيش وهو على هذه الحال ؟

هذه حالتى يا سعادة المدير أمثلها بين يدى عدالتك ورأفتك ، واثقاً بأن كلمة منك كافية لراحة بالى ، وإصلاح حالى .

وإنى لا أتوسل إليك فى ذلك بغير نفسك الكريمة ، وشعورك الحى الشريف . والله يتولى مكافأتك ، ويجازيك عنى أحسن الجزاء ؟

٣٣ ـ اعتذار إلى بعض الملوك

اعتذر رجل من العرب إلى بعض ملوكهم فقال :

إن زلتي ، وإن كانت قد أحاطت بحرمتي ، فإن فضلك يحيط بها ، وكرمك يُوفى عليها . ثم قال :

إني إليك (سلمت) كانت رحلتي	أرجو الاله وصـــفحك المبذولا
إن كان ذنبي قد أحاط بحرمتي	فأحط بذنبي عفوك المـــأمولا

أجوبة مكاتبات الاستعطاف

١ — إن الله يحب التوابين ، ويحب المتطهرين ، وإن اعترافك بالذنب وندمك عليه ، وإصرارك على عدم الرجوع إليه ، يدخلك مدخل التوابين ، الذين يحبهم رب العالمين ، فكيف لا أحب أن تكون طاهر النفس ، حسن السير والسيرة لتكون محبوباً من الله والناس ؟ وهذا هو رجائي فيك ، وسبب رضاي عنك ؟

٢ — نعم ، إن شفيع المذنب إقراره ، وتوبته ندمه واستغفاره ، فإن كنت على ذلك أقررت وأصررت ، فأنا عنك رضيت وعفوت ؟

٣ — إن كان يحزنك أن تراني غير راض عنك ، فأنا يحزنني أن أراك على غير ما أحبه وأرضاه لك . أحب أن تكون مبرأ من كل عيب ، لتفوز على أقرانك ، وتحظى بالقبول من خلانك ، فمن كنت منه بهذه المنزلة ، فأنت أحب الناس إليه ، وأحقهم بالرضا لديه ؟

٤ — ليس عندى أعز منك ، ولهذا أحب أن تكون لى ولداً تقياً ، وأكون لك والداً مخلصاً وفياً ، فإن كنت أقلعت عن سيرك الماضى ، وأخذت فى تحسين حالك ، فأكون لاشك عنك راضياً ، فوشرف أبيك لا تضيع رجائى فيك؟

٥ — أحب أن تكون كريم النفس ، عالى الرأس بين إخوانك ومحبيك ، لهذا وجهت نحوك غضبى ولومى ، أملا فى اعتدال حالتك ، وتغيير خطتك . و بما أنك قبلت العتاب ، ورجعت إلى الصواب ، فقد رضيت نفسى ، وزال يأسى ، وحمدت الله على هذا التوفيق ، وسلوكك أقوم طريق والسلام؟

مكاتبات الرجاء والتوصية

١ — لعبد الحميد الكاتب فى التوصية

حق موصل هذا الكتاب إليك كحقه علىّ ، إذ جعلك موضعاً لأمله ، ورآنى أهلاً لحاجته ، وقد أنجزت حاجته ، فحقق أمله؟

٢ — للجاحظ فى التوصية

كتابى إليك كتاب معتن بمن كتب له ، واثق بمن كتب إليه ، ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله؟

٣ — أنا إن سألتك حاجتى ـ أعزك الله ـ و بسطت إليك يد رجائى ، فقد طرقت باب المكارم ، واستمطرت غيث المراحم ، ورجوت واحد الدهر همة وحزما ، ونادرة الوجود كرماً وفضلا .

فإن أعجزتها فليست أولى الهمم ، ولا واحدة النعم ، فلكم سبقت إلىّ منك أياد تخرس دونها ألسنة الشكر ، وتضيق بها جرائد الحصر، ولقد مثلت (أيدك الله) بين أن أستشفع إليك بذوى الجاه عندك ، والزلفى لديك ، و بين أن أكلَ ذلك إلى كرمك وفضلك ، وما طبعت عليه نفسك الشريفة من خلال الخير ، وسجايا البر ، فرأيت أن الثانية بك أحرى ، و بفضلك أجدر ، والسلام ؟

المنفلوطى

٤ — إليك — يامن قد استأثر النفوس بكرمه ، واسترق الأحرار بجميل صنعه ، وأولى النعم والخيرات ، وأسدى المعروف والمسرات — أرفع كتاباً تبعثه إلى ناديك العالى عوامل الحاجة ، وتزجيه إلى ساحتك دواعى الشدة ، آمل أن يكون تذكرة بأمرى « والذكرى تنفع المؤمنين » وتذكرة بحالى « والله لا يضيع أجر المحسنين » فقد كان سيدى — رفع الله قدره ، وأعلى مرتبته — وعدنى (ومثله من يتمسك من الوفاء بالعروة الوثقى ، ويقطع حبل الإخلاف بسيف الوفاء ويطرز خلقه الوعد بوشى العطاء) أن يرسل لى من خيراته ، ويولينى من آلائه وحسناته ، ويضاعف لى من مِنَنه ، ويزيدنى من عطائه ، ما أشد به أزرى على الزمان ، وأطاول به نوائب الحدثان ، فقد بارزنى الدهر بسيوفه ، ورمانى بسهامه ، وأناخ علىّ بكلا كله وقد طال الأمد على حاجتى عند سيدى — أطال الله بقاءه — حتى طار غراب شبابها ، وصاح بجانب نيلها ، فخفت أن تكون هبت عليها ريح النسيان ، وعصفت بها عاصفة الحدثان ، فكتبت إلى سيدى ومولاى ، تلك الرقعة أستعجل بها برّه ، وأستدر بها درع عطائه ، علماً بأن التعجيل يكبر العطية ، وإن كانت صغيرة ، ويكثرها وإن كانت يسيرة ، فعسى أن يكون قد لاح نجم النجاح ، وهب نسيم الفلاح ، فيرسل سيدى إلى سحاب كرمه ، ويمطرنى من غياث فضله ، فتورق غصون آمالى بعد ذبولها ،

وتضحك وجوه مطالبي بعد عبوسها ، وأملي في ذلك وطيد ، ورجائي شديد ، وما ذلك عليك ببعيد ، والسلام ؟

الإنشا

٥ — إن رأى سيدى أن يخفف عنى ثقل الحاجة ، ويرد إلى ما سلبه الدهر منى ، بقطرة من بحر عطائه ، ومنة من بعض آلائه ، وبجبر ما كسره الفقر من جناحي ، ويرد عنى النوائب التى لا تفتأ تتوالانى ، عقدت لسانى على مدحه ، ووقفت نفسى على شكره ، فيحرز من الله أجراً جزيلاً ، ومنى شكراً جميلاً ، إن شاء الله ؟

الإنشا

٦ — اشتهرتم بفعل الخيرات ، والأخذ بيد ذوى الحاجات ، فهل لى أن أتجاسر على طرق باب معونتكم ؟ والالتجاء لمساعدتكم ؟ حيث غدر بى الزمان ، وألحق بى الذل والهوان ؛

ولابد من شكوى إلى ذى مروءة يواسيك أو يسليك أو يتوجع

فأغيثونى من هذه الحال ، فإنى لم أتعود ذل السؤال ، وعلى الله الاتكال ، وبلوغ الآمال ؟

٧ — بكل أدب وخضوع ، أرفع لسيادتكم هذا الالتماس راجياً أن لا أحرم من توجيه التفاتكم السامى إلى الأخذ بيدى ، لأضم هذا الفضل اللاحق ، لما لكم علىّ فى السابق ، جعلكم الله ملجأ لكل قاصد ، ومجيباً لنداء كل رائد ؟

٨ — حامل كتابى هذا ، قد استعان بعجزى على قوىّ همتكم ، فأعينوه على نيل بغيته ، فلا خاب من قصدكم ، ولا ندم من رجاكم ؟

٩ — حامل كتابي هذا ، له علينا حق المساعدة ، وقد رآني موضع أمله ، ورآك أهلاً لقضاء طلبه ، فقصدني في رجائك ، فحقق أمله ، واقض له حاجته ، ليعود شاكراً مسروراً ، وكان لكم من الله ثواباً وجزاءاً ، وكان سعيكم مشكوراً ؟

١٠

من أمّكم لرغبة فيكم جبر ومن تكونوا ناصريه ينتصر

طلب إليّ حامل كتابي هذا أن أوصيكم بمسألته خيراً ، وإني وإن كنت أعهد في همتكم أنها غنية عن أن يستنهضها كلمات ، أو يحمسها عبارات ؛ ولكن جبل صاحب الحاجة على حب التوسل لمن في يده عمله ، فأرجوكم الرجاء العظيم مساعدته في نيل أمنيته ، زادكم الله شرفاً وكرماً ؟

١١ — إن مراعاة الخواطر أمر واجب قضت به الإنسانية ، في المعاملات الأخوية ، وقد حضر عندي فلان ، ولعلمه بما بيننا من الصحبة القديمة ، والمودة الصادقة ، طلب مني مكاتبتك للنظر في أمره ، ومساعدته بقدر الإمكان ، فأجبت سؤاله وحررت لك هذا ، ولي الأمل في قبول الرجاء ؟

١٢ — إن لمحة من نظرك الثاقب لحامل كتابي هذا الكافية لمعرفة القصد من تحرير هذا إليك ، وعطفة إليه من فضلك الشامل لوافية بأن ترده يرتل آيات حمدك وشكرك ، فهو من الذين ضاقت بهم الحال ، وله أسرة كبيرة ، ويعوزه من مروءتك العالية بعض المساعدة ، فأرجو إعانته بما في الطاقة ، حتى إذا ما نال بغيته وفاز بأمنيته ، رجع رافعاً أكف الضراعة والدعاء بأن يحفظ الله حياتك ، ويديم عليك الصحة والسعادة ؟

١٣ — حامل هذا إليكم ، قد توسل بى لديكم ، فى قضاء حاجة عندكم ، فأرجو أن يكون قد أصاب المرمى ، وقصد من يعز عليكم رفض طلبه ، فتنظرون فى أمره ، أو تعدونه وعداً حسناً ، ليكون مسروراً ، وأكون لكم شاكراً ممنوناً ؟

١٤ — سألنى حامل هذا أن أشفع له عندك ، فأخبرته بأنى لم أبلغ مبلغ الشفاعة ، فلم يقتنع ، فحررت لك هذا عَلَّ به يتحقق له الأمل ، فيعود شاكراً مهنئاً لى بما نلته عندك من حسن المنزلة والقبول ، زادكم الله شرفاً وقدراً ؟

١٥

والله ما ندرى إذا ما فاتنـــا   طلب إليك مَن الذى نتطلب ؟
ولقد ضربنا فى البلاد فلم نجد   أحداً سواك إلى المكارم ينسب
فاصبر لعادتك التى عودتنـا   أو لا فأرشدنا إلى مَن نذهب ؟

سيدى ـ رفع الله قدره ، وأطال عمره ـ وعد أن يمدنى من خيراته ، بما أشد به أزرى على نازلة الزمان ، وطوارئ الحدثان ، وقد رفعت إليه هذه الرقعة ، تذكرة بأمرى ، وتفكرة بحالتى ، فإن رأى سيدى أن يخفف عنى ألم الانتظار ، ويزيل ما ألم بى من ثقل الحاجة ، ويجبر خاطرى ، نال من الخالق أجراً جزيلا ، ومن الخلق شكراً جميلا ؟

١٦

الناس بالناس ما دام الوفاء لهم   والعسر واليسر أوقات وساعات
وأكرم الناس من بين الورى رجل   تقضى على يده للنـاس حاجات
لا تقطعنّ يد المعروف عن أحد   ما دمت تقـدر فالأيام تارات

واشكر فضيلة صنع الله إذ جعلت ... لديك لا لك عند الناس حاجات
قد مات قوم وما ماتت فضائلهم ... وعاش قوم وهم فى الناس أموات

وقال آخر :

أحسن إذا كان إمكان ومقدرة ... فلن يدوم على الإنسان إمكان

١٧ — ثقتى بك تمنعنى من استنجازك الوعد ، وعلمى بكثرة مشاغلك يدعونى إلى تذكيرك ، وإنى لست آمناً — مع استحكام ثقتى بعلوّ همتك — من ضياع الفرصة ، فالآجال مقرونة بالآمال ، فسح الله لك فى الأجل ، وبلغك منتهى الأمل ؟

١٨ — لبهاء الدين زهير فى استنجاز الوعد

أدعوك دعوة من تيقن أنه ... سينال ما يرجوه إذ يدعوكا
عودتنى البر الجزيل ولم تزل ... أبداً تعوده الذى يرجوكا
فلذاك لو فتشت قلبى لم تجد ... فى الولاء المحض فيه شريكا
هذا حديثى عن ضمير صادق ... واسأل ضميرك إنه ينبيكا
فإذا مننت بما وعدت تكرماً ... فلمثل ذلك لم أزل أرجوكا
ولئن نسيت وما أخالك ناسياً ... فسواك لن ينسى له مملوكا

١٩ — أخى ، إنى أقدم لك رجاء مشفوعاً بفضلك وأدبك ، وهو أن لا تحجب عنا أنوار طلعتك ، وأن لا تجردنا من شرف حضرتك ، وأن لا تحرمنا من الأنس بك ، فبالله عليك هل يليق أن تدع مجلساً أنت عقد نظامه ؟ أيهون عليك أن نبقى لبعدك فى قلق ووله ؟ ننظر إلى محلك خالياً من شخصك الفاضل

فتذكر لطفك وأنسك ، فيتراكم علينا الأسى والأسف ، فبحق الصحبة والإخاء ، نرجوك أن تعود إلى ما كنت عليه من الإخلاص والوفاء ؟

٢٠ — التماس ميعاد

إن رأيت أن تجرد لى ميعاداً لزيارتك ، أتوق به إلى وقت رؤيتك ، ويؤنسنى إلى حين لقائك فعلت ؟

فأجابه معتذراً

أخاف إذ أعدك وعداً يعترض دون الوفاء به ما لا أقدر على دفعه فتكون الحسرة أعظم من الفُرقة .

وكتب المرحوم زكى الدين سند لصديق زاره

إذا سمحت بأن أتمم كتابة فى يدى ثم أنزل كان لك الفضل الأكبر ، وحق لى أن أقول انتظر مشكوراً غير مأمور ؟

٢١ — أيها الصديق المحبوب

إن لى معك حديثاً يهمك ويهمنى ويعود عليك بالخير والمنفعة ولا يمكنى أن أكاشفك به كتابة لأنه يستلزم المباحثة ، وليس عندى ساعة فراغ تمكننى من الاستئناس بك فى منزلك ، فالمرجو التكرم بزيارتى فى بيتى هذا المساء للمداولة معك فى هذا الشأن وبظنى أنك لا ترفض طلبى أو ترجئه إلى ميعاد آخر خوفاً من ضياع الفرصة ، لا سيما وإنى شديد الشغف بلقياك ، لمشاهدة أنوار محياك ، والسلام ؟

٢٢ — سيدى الصديق

انتدبنى بعض الإخوان للنظر معهم فى إحدى المسائل الهامة الجديرة بالاعتبار

ولما كنت من نصراء الفيرة ودعاة الفضيلة ، ولا يمكننا الاستغناء عن رأيك السديد فيما يعترضنا من المشاكل ، جئت بهذا أستعطفك ، راجياً إجابة طلبى بالتشريف بالحضور بمنزلى اليوم ، فلا تحرمنا من أنسك ، وعذب حديثك ، وثاقب رأيك والسلام ؟

٢٣ — أيها الصديق العزيز

عرض لى بعض حوادث مزعجة عجزت عن أمر تدبيرها بنفسى فصرت حائراً فى أمرى ، وأصبحت قلقاً مهموماً .

ولما فكرت فيها لم أجد أمامى من يعيننى على تصريفها سواك ولذلك بادرت بتحريره ملتمساً الإجازة لى بالمثول بين يديك لعرضها عليك ، فتكرم بتعيين الوقت الذى يسمح لك بمقابلتى ولى الثقة التامة بأننى أصادف فى رأيك الفرج ، وفى نصيحتك العزاء ، وتقبل سالف شكرى وسلامى ؟

٢٤ — إنى فى حاجة للاستنارة برأيك ، والاسترشاد بهديك ، فأرجوك أن تضرب لى ميعاداً لا يحول بينى و بين مواجهتك لأستضىء بنور نصائحك الغالية ، و إرشاداتك السديدة ، ولا إخالك تبخل علىّ بشرف المقابلة ، لما تعودته منك من اللطف والعطف والعناية والرعاية فى جميع المشاكل والخطوب ، جعلك الله ملاذاً لكل حائر ، ومعيناً لكل عاجز ؟

٢٥ — صديقى الكريم زاده الله سعة وكرماً

قامت لدى أعذار هامة استنفدت ما كان فى يدى من النقود ولا يزال على اليوم

بعض دفعات واجبة السداد ، والحقوق المطلوبة لى قبل بعض الناس موعد دفعها فى الشهر القادم .

وبما أنى لم أتعود المماطلة فى الوفاء ، ويشق علىّ كثيراً أن أفقد الثقة التى اكتسبتها من إخوانى بصدق وفائى ، ومحافظتى على القيام بالوعود والعهود ؟

فأرجوك أيها الصديق الكريم أن تعيننى على سداد المطلوب منى الآن وقدره.. ... بحيث لا يلحق مصلحتك ضرر من ذلك وإن شاء الله فى أواسط الشهر المقبل أبادر برد ما تدفعه مع فائق الشكر وخالص الامتنان ودمت لأخيك المخلص ؟

٢٦ — عزيزى

أصبحت اليوم فى ضائقة مالية لا أرجو الخلاص منها والفرج إلا منك لأنك ملجئى وقت شدتى وملاذى عند كربتى فأسعفنى بما عودتنى به من الكرم والمساعدة لأضحى أسير فضلك وطليق عتقك ويصير لك فى رقبتى منة المحسن الكريم وينطق لسانى وجوارحى بالثناء والشكر العظيم داعية لك بطول البقاء ودوام العز والهناء ؟

٢٧ — لقد تكاثرت علىّ المطالب فى هذه الأيام ، وألجأتنى إلى جمع الديون المستحقة لى عند إخوانى ، فلا تؤاخذنى واعذرنى إذا طلبت منك اليوم سداد المبلغ الذى لى عليك بموجب سند قد حل ميعاده من يومين ، وكنت أود عدم المطالبة به الآن لو كنت فى غنى عنه ، ولكن هى الحوادث تغل اليد ، والأعذار تدفع الإنسان إلى ما يكره ، والضرورات تبيح المحظورات وأملى فى إخلاصكم وثقتكم بى المبادرة بإرسال المستحق لى لأبادر بشكركم وحفظ جميلكم ، والسلام ؟

٢٨ — إن المبلغ المستحق لى عليك قد فات ميعاد سداده من شهرين مع أنك وعدتنى بدفعه وقت حلوله .

ولا شك أن كثرة شواغلك هى التى أخرتك عن القيام بما وعدتنى به ، لأننى أعهد فيك الصدق والوفاء .

فغاية رجائى أن تتفضل بتسليم حامل كتابى هذا المبلغ المطلوب وأخذ السند اللازم عليه ، ولكم مزيد الشكر سلفاً ؟

٢٩ — طالما كتبت إليك أطلب المبلغ الذى لى عليك ، وأنت لم تهتم أقل اهتمام ولم تتكرم بالدفع ولا بالإجابة فرأيت من واجب المودة والصحبة أن ألفت نظرك للإسراع فى دفعه حتى إذا قمت بواجب الشرف والإنسانية كنت لك من الشاكرين ، وإلا اضطررت إلى طلبه بالطرق القانونية ، ولا يخفى عليك ما فى ذلك من المتاعب والمصاريف وضياع الوقت ، فضلا عن الخسارة التى تلحقنا بضياع صحبتنا ، فكن صادقاً وفياً ، ولا تحوجنى للالتجاء إلى القضاء ، واعلم بأن الإنسان إذا لم يقم بالوفاء عرض نفسه للإهانة ، وخسر معاملة إخوانه ، وتجنبوه وقطعوا معه كل علاقة حتى يصير وحيداً ذليلاً لا مساعد له ولا معين . وفى هذا القدر كفاية ؟

٣٠ — استنجاز وعد

أيها الأخ الوفى :

وعدتنى أيها الأخ ، والحرُّ من وفى بعهده وأنجز وعده ورعى مواثيقه ، وحسبى بما ألفته منك من الصدق وعرفتك به من الوفاء واللطف أكبر دليل على تحقيق الأمل وإجابة الطلب فأمدنى بهذا الجميل الذى أحفظه لك فى فؤادى ولا أنساه أبد الدهر ؟

٣١ — لا أشك فى أن كثرة شواغلك هى التى أشغلتك عن القيام بما وعدتنى به مع شدة افتقارى إليه فتفضل عَلَىَّ به لأصنع لك إكليلاً من الثناء والمدح يشهد بفضلك و إحسانك ؟

٣٢ — لقد ألجأتنى الضرورة إلى استرجاع الوديعة المحفوظة فى حصن حصين عندك وكان فى نيتى الحضور بنفسى وأقوم لك بواجب الشكر على رعايتها وحفظها ، لولا تعذر الفرصة ، ولذلك قد كلفت حضرة صديقى . . . . بأن ينوب عنى فى استلامها فالمرجو أن تدفعوها إليه بالإيصال اللازم على هذا .

و إنى أنتهز هذه الفرصة لتقديم واجب الشكر والاحترام ؟

٣٣ — أيها الأخ الغيور المقدام :

إن الخلاف الشديد المستحكم بين أخينا فلان ، . . . . قد طال أمره وعظم شأنه، بحيث لا يصح التغاضى عن السعى فى إزالته مهما لقينا من المشقات والمصاعب ، لأنه لا يخفى عليك الأضرار التى تلحق بالفريقين بسبب هذه الضغينة وتلك النفرة الشديدة

و إنى أخشى أن يفضى بهما الحقد والبغضاء إلى ما لا تحمد عقباه ، فرجائى إليك أن تشرفنى مساء اليوم للمفاوضة فى هذا الأمر الجليل الهام ، ورسم خطة لإحضار الصديقين المتنافرين و إصلاح ذات البين بينهما .

ولا ريب أنك ستقرنى على هذا السعى المحمود ، فلا تتأخر عن الحضور حتى إذا نجحنا فى مهمتنا هذه فنكون قد أحيينا روحين أماتتهما الضغائن والأحقاد وجمعنا شمل صديقين تربطنا بهما رابطة الإخاء والإنسانية ، لا زلت من أعوان المروءة ومن رجال الإصلاح ؟

٣٤ — حسب الإنسان من لذة العيش وهنائه فى هذه الحياة قلب يخفق بحبه ، ولسان ينطق بذكره .

فإن أحسنت إلى الناس ملكت قلوبهم ووجدت فى نفسك من لذة المروءة، والإحسان والعطف والحنان ما يحسدك عليه الناعمون بالحور الحسان ، فى مقاصير الجنان ، وادخرت لك عند الله من المثوبة والأجر ما يدخره لأمثالك العاملين المحسنين

فإن كنت تريد أن يسجل لك من حسن الذكر وخالص الشكر فى صفحات القلوب ما سجل للكرماء والشرفاء فى صفحات التاريخ ، فتعطف على فلان واشمله بنظرة تجبر بها خاطره ويقر بها ناظره ، والسلام ؟

٣٥ — أيها الصديق الصادق :

حامل كتابى هذا ولدى فلان قادم إليك ، ليحظى بالمثول بين يديك ، فأرجو من مكارمك أن يكون له ما لى عندك من المنزلة فتعطف عليه عطفك عَلَيّ ، وتهتم بأمره كما كنت ولا تزال تهتم بأمرى ، وتساعده على قضاء مصلحته ، حتى يفوز بغايته ، فتطلق لسانه ولسانى بالابتهال إلى الله بأن يكافئك عنا خير مكافأة وألاّ يحرمنا من نعمة وجودك ومساعدتك ، والسلام ؟

٣٦ — سافر ولدى فلان على غير علم منى ، ولم يكن فى يده من النقود إلا ما يقوم بمصاريف سفره ، فاضطربت أفكارى كل الاضطراب ، وصرت أخاف عليه من الضغينة والعذاب ، فى بلاد ليس له فيها معارف ولا أصدقاء ، حتى أصبحت فى قلق زائد من جهته ، ولا أريد أن أصف لك حالة والدته فأنت أعلم بحنو الوالدة وشفقتها عليه .

ونظراً لما بيننا و بينكم من الصحبة القديمة والمودة الأكيدة جئت بهذا راجياً التفضل بالبحث عنه بما هو معروف عنكم من الغيرة والمروءة ، حتى إذا صادفه حسن الحظ فى عثوركم عليه بادرتم إلى سد حاجته وقضاء لوازمه ، و بشرتمونا بالإفادة عن حالته وصحته ، لأكون على بصيرة من أمره ، لا زلتم أهلاً للشهامة والمروءة ؟

٣٧ — سافر ولدى فلان لمقابلتكم فى أمر يهمه ولا أرى حاجة إلى توصيتكم ، والالتفات إليه وعن قريب يظفر بلقائكم فالمأمول أنكم تحققون رجاءه ورجاءنا فتقابل أياديكم البيضاء بالشكر والثناء ؟

٣٨ — لقد عودتنى بلطفك ومروءتك أن أعتمد عليك فى جميع أمورى وجرأتنى بوداعتك وغيرتك على الالتجاء إليك والتعويل عليك فى كل مهمة وملمة ولم تخيب لى رجاءاً ولم ترفض لى سؤالاً حتى أصبحت كلما تماديت أنا فى الطلب ازددت أنت فى العطف عَلَىَّ والمساعدة لى ، واليوم أطرق باب فضلك وكرمك راجياً الالتفات إلى خادمك فلان فهو على ما عرفته من أصدق الخدم وأنشط العمال ، ولعلك تكون قدرت أعماله وأتعابه حق قدرها فيسهل عليك قبول شفاعتى فيه ، وتوصيتى عليه بزيادة راتبه ، لأنه فى ضيقة شديدة بسبب عجزه عن القيام بمصاريفه ومصاريف عياله .

و بالنظر لما أعهده فيك من الحنو والشفقة على مستخدميك وحسن مراعاتهم والعناية بهم جئت بهذا راجياً مساعدته بقدر الإمكان فاجعله عند حسن ظنه بك ، فتضيف إلى مآثرك الماضية مآثر أحفظها لك فى فؤادى ، وأدعو الله أن يجازيك عنى وعنه أحسن الجزاء ؟

٣٩ — أيها الأستاذ الحاذق الأديب :

يسرنى أن أفوض إلى عنايتك أمر ولدى ، وأسند إليك كل ما يتعلق بتعليمه وتهذيب نفسه وتربية أفكاره وتقويم ما اعوج من طباعه وخلقه ، حتى يصير على شاكلة أمثاله علماً وأدباً وخلقاً وكمالاً ، فغاية رجائى إليكم العناية بصالحه ، والاهتمام بإصلاحه ، ورفع غشاوة الجهل عن ذهنه ، حتى إذا كان مهذباً عالماً خبيراً بأمور دينه ودنياه كان عبداً لكم طول حياته ، وجعلتمونى أسير فضلكم ورهين معروفكم ؟

٤٠ — أيها الأستاذ الجليل ، والطبيب الماهر

إن ولدى « فلان » بعد أن أتم دراسته الثانوية ، وحصل ولله الحمد على الشهادة المدرسية ، رأيت بعد الوقوف على رغبته ورضاه أن أرسله إلى . . . لتلقى العلوم الطبية بمدرسة . . . عن أمهر الأطباء أمثالكم ، ولما كانت طبيعة الشباب ميالة إلى اللهو والفكاهة ، رأيت من الواجب أن أسلمكم زمامه ، وأفوض إلى حكمتكم أمر تدبيره ، حتى يكون بعيداً من مواضع الخلاعة ، ومجالس السوء التى تحول بينه و بين نجاحه ، فأنتم أدرى بعثرات الشبان ومواقع غواياتهم لما اكتسبتموه من الخبرة الطويلة بفضل الاختلاط والمعاشرة

فتفضلوا برعايته ومراقبة أعماله ، ومنعه عن معاشرة قرناء السوء وعدم التساهل معه إلا فيما يلزم لحفظ صحته ورياضة نفسه من الأتعاب العقلية ، وهو الآن لم يزل ولله الحمد حسن السير محمود الأخلاق ، ولوعاً بالدرس نفوراً من البطالة ، بعيداً عن طرق المفاسد والملاهى ، غير أنى أخشى أن تسوقه المخالطة والمعاشرة إلى مثل هذه المحظورات ، فإذا راعيتم ولدى بهذه الرعاية ، وحفظتموه من طرق الفساد والغواية

كنتم له من أكبر المحسنين وقلدتمونى أنفس قلادة ، من حسن صنيعكم ، أشكركم عليها مدى العمر ، ولا يمكننى أن أكافئكم على هذه الخدمة إلا بالدعاء لكم بطول الحياة ، ونعمة العيش ؟

٤١ — سيدى العزيز : لقد جرأتنى غيرتك المشهورة ، ومحبتك لفعل الخير ، والأخذ بناصر الضعفاء ، على أن أعتمد على همتك العالية ، فى إيجاد عمل للواقف بين يديك ، تسد به عوزه وتفى بحاجات عياله الذين لا عائل لهم سواه ، وهو على ما أعهده فيه أهل للاستخدام بما اتصف به من الصفات المحمودة ، والأخلاق الفاضلة . وعند اختباركم له تظهر لكم صحة شهادتى بأهليته وكفاءته ، فعسى أن يلاقى منكم كل عناية ورعاية ، فتصلون عيشه ويكون لكم عند الله أعظم مثوبة ، ولدى الناس أحسن سمعة ، أطال الله حياتكم ، ووفقكم لعمل الخيرات ، والسلام ؟

٤٢ — أيها الصديق الهمام :

عهدى بكم أن تسارعوا إلى مساعدة من يلوذ بكم وإسعافه بما تصل إليه قدرتكم المادية وقوتكم الأدبية ، ولكم فى ذلك آثار ونفحات ، شهد بها إخوانكم ومعارفكم .

وكان بودى أن أبعث إليكم صديقنا « فلان » بدون كتابة توصية ، لأن الرجل السخى العظيم الهمة مثلكم ، لا يحتاج إلى منشط يدفعه إلى الخير ، ولا ينتظر الوسائل الفعالة التى تحمله على الإحسان ؛ وإنما كتبت هذا قصد أن أطلع سيدى على منزلة الموصى به عندى ، وأبين له مقدار حرصى على اهتمامى بأمره ، وشدة رغبتى فى نجاح مأموريته ، وهو الآن بين يديكم ، جامعاً كل آماله فى رعايتكم وإسعافكم ، حتى إذا نجح فى مهمته ، كان الفضل لمن سهل له الطريق ، وهداه سبيل التوفيق .

وأملى أن تجدوا فيه كل الصفات المحمودة التى تزيدكم رغبة فى إعانته برأيكم السديد ، وبذلك تطلقون لسانه بجميل عبارات الثناء والشكر ، وتطوقون عنقى بأجمل قلائد المعروف والإحسان ، التى أحفظها لكم فى فؤادى داعياً الله بأن يزيدكم فضلاً وكرماً ؟

٤٣ — أيها الصديق الكريم :

قادم إليكم صديقى فلان لقضاء بعض أمور هامة فيها مصلحة له ، وهو قليل الخبرة بأحوال تلك البلاد ، وليس له فيها معارف يركن عليهم ، وأصحاب يرجع إليهم فى شؤونه ، وقد طلب إلىّ أن أوصيك به ، وإسعافه بما يريد من الإرشادات النافعة ، وذلك لثقته بما بيننا من العلاقات الموروثة أباً عن أب ، ولاعتقاده أن كلمتى عندكم مقبولة ، ورجائى لا يخيب لديكم ، فالمأمول فى غيرتكم المشهورة ، أن تعيروه جانب الالتفات والاهتمام حتى يعود إلينا شاكراً لمعروفكم ، حامداً لعنايتكم بأمره . وإنى أقدم لكم جزيل الشكر سلفا على هذا الجميل ، داعيا الله أن يجزل لك الأجر ، ويبقيك لنا عونا وسنداً ؟

٤٤ — أخى الدكتور الفاضل :

قصدنى حامل كتابى هذا إليكم أن أستعطفكم إلى قبوله فى مستشفاكم المشهور بالشفقة بالفقراء ، ولا يسعنى إلا إجابة طلبه ، مراعاة لحالته السيئة التى تستدعى الرأفة والعناية التامة .

ولا شك فى أن شفاعتى له عندكم ، تصادف منكم معونة هذا البائس على تحمل بلواه ، لأنه من أحق المرضى بالعناية وأحوجهم للمعروف ، لا زلتم ملجأ للبؤساء ، وملاذاً للضعفاء ؟

٤٥ — سيدى الأخ المحترم

لو قبلت مساعدتك الخيرية التي ألتمسها لمن أوصيك به على ضعفى بالشكر وحده، أكون قد أسأت التقدير، وعجزت عن التعبير، ولذلك كنت ترانى عند تنفيذ المساعدة أقابلها بالصمت لأن فى الصمت كل معنى، واعتراف بالعجز عن الشكر.

واليوم جاءنى حامل هذا ورجانى أن أكتب إليك توصية مخصوصة ولا ذنب له فى ذلك، لأنك اشتهرت بفعل الخيرات، والأخذ بذوى الحاجات، وعليه تجاسرت على الكتابة، راجياً أن تساعده بما جبلت عليه من حب الخير، وفعل المعروف، وإنى سأضم هذا الفضل اللاحق، على أفضالك السابقة، جعلك الله ملجأ لكل قاصد، وعضداً لكل مضطر ؟

٤٦ — أخى. إنى أقدم لك رجاء مشفوعاً بفضلك وأدبك، وهو ألاَّ تحجب عنا أنوار طلعتك، وألا تجردنا من شرف حضرتك، وألا تحرمنا من الأنس بك، فبالله عليك هل يليق أن تدع مجلساً أنت عقد نظامه ؟ أيهون عليك أن نبقى لبعدك فى قلق ووله ؟ ننظر إلى محلك خالياً من شخصك الفاضل، فنتذكر لطفك وأنسك، فيتراكم علينا الأسى والأسف، فبحق الصحبة والإخاء نرجوك أن تعود إلى ما كنت عليه من الإخلاص والوفاء ؟

٤٧ — هل تسمح لى سعادتكم بأن أنتهز هذه الفرصة « فرصة توزيع الدرجات الخالية الآن » وأتجاسر بأن أذكركم بشأنى ؟ ولعل وعسى يكون قد آن الأوان، وزالت الموانع والعقبات الحائلة دون ترقيتى فتمنحونى حسن رضائكم، وجميل معونتكم، لأستعين بها على تربية أولادى، وتقويم صحتى. ولقد توسلت بكم إليكم،

وجعلت كل اعتمادى بعد الله عليكم ، ولى أمل كبير فى نيل الخير على يديكم ، فلا تخيبوا رجائى فيكم . والله تعالى أسأل أن يوفقكم للخيرات ، ويرفعكم إلى أعلى الدرجات ، آمين ؟

٤٨ — رجائى إليك العناية بطالب صديقى فلان ، حامل كتابى هذا وأملى فيك أن يعود قرير العين ، منشرح الصدر ؟

٤٩ — صديقى الصدوق ، وخليلى الودود ، طال بقاؤه

هذه رسالتى تمثل لك شخصاً ألف ودادك ، ولا يلهج لسانه إلا بالثناء عليك ، والدعاء بطول بقائك ، فقد جاء اليوم يقرع باب لطفك لقضاء مصلحة لحاله

وإنى لفى غاية الخجل من تصديع خاطرك ، وإقلاق راحتك ولكن لى فى عفوك ولطفك ، وميلك لعمل الخير ، ما يدعونى لرجائك فى هذا الأمر ، لا زلت ركناً المعروف ، وملاذاً للملهوف .

هذا وإنى مستعد لخدمتك ، طائع لأوامرك ، وأرجو أن تقبل خالص شكرى ، وفائق احترامى ، والسلام ؟

٥٠ — إنك لو ساعدتنى على نوال بغيتى ، تحيى من الموت الأدبى رجلاً يحفظ لك هذا الجميل حياً وميتاً ، وتخلده لك يد الإنسانية فى سجل المروءة والكرامة ؟

أجوبة مكاتبات الرجاء والطلب والتوصية

١ — قصدتنى فى أمر ، أرى من الواجب علىّ القيام به ، وأدعو الله أن يساعدنى على إتمامه ، لأفوز برضاك ، وأسعد بخدمتك ؟

٢ — جاءنى كتابك وحامله ، وسأجتهد بعون الله فى بلوغ ما يؤمله ، فلك علينا من سالف الفضل ، ما نعجز عن الوفاء به ، ومن الأمر ما يجب امتثاله ؟

٣ — قد استعان حامل كتابك بهمتك ، مع أنى لا أعصى لك أمراً ، وفى كل حين ، لإشارتك رهين . فبالله أستعين على إبلاغه المأمول ، لأحظى منك بالرضا والقبول ؟

٤ — قرأت كتابك ، ونظرت إلى رسولك نظرة أورثتنى الأسف على حالته ، والحزن لمصيبته ، ولو كان فى استطاعتى القيام بخدمته لفعلت ، وأظنك تعلم ذلك ؛ ولكن مع الأسف الشديد ، ليس فى وسعى الآن إجابة طلبه ، فلينتظر حتى يحكم الله فهو الفعال لما يريد ؟

٥ — كيف لك أن توصينى على مسألة هى تحت نظرى ، وشاغلة لفكرى ، وأعد قضاءها من أعظم واجباتى ، مع علمك بأن حبى فى خدمة الإنسانية أجل رغباتى ، وإنى لا أقول بأننى قاضى الحاجات (أستغفر الله) بل خادم للأدب وذويه ، ساع فى الخير لمستحقيه ، متوكل على الله فى نجاح الأعمال ، وبلوغ الآمال ؟

٦ — إن لك عندى منزلة تفوق منازل الشفعاء ، ومقام الإخوان الأصفياء ، فأمرك مطاع ، وطلبك مجاب ، وإن رضاك على حامل كتابك يزيد فى رضاى عليه ،

ويساعدنى على خدمته ، وقضاء حاجته ، إنما غاية ما أرجوه منه أن يعمل بنصيحتك ، ويعتدل فى أحواله ، كما عملت برسالتك وأجبت سؤاله ؟

٧ — عزيزى

أمامى الآن كتابك الكريم ، فسررت به لإعرابه عن سلامتك ، وقمت فى الحال مسرعاً لقضاء غرضك ، وتنفيذ طلبك الذى أعده واجباً علىّ ، وقد حررت هذا لأفيدك بتحقيق طلبك ، وبلوغ أربك وأرجوك ألا تحرمنى من طلباتك الدالة على ثقتك بى ، فإنى لا أزال مقيماً على عهدك ، حريصاً على ودك ، والسلام ؟

٨ — عزيزى

أكتب إليك بمداد الشكر ، على صفحات الإخلاص والولاء ، لما طوقت به عنقى من قلائد إحسانك ومعروفك ، وإنى لأحفظ لك هذا الجميل فى حبات قلبى ، داعياً الله بأن تبيح لى الفرصة التى أقوم فيها بمكافأتك وخدمتك ، وأرجو أن أكون على الدوام فى تعداد أصدقائك المخلصين . والسلام ؟

٩ — أخى الصديق العزيز

وردت إلىّ رسالتك ، فتصفحتها والفرح ملء الفؤاد ، فإذا بها مما يطفئ تباريح الشوق ، ويدعو للاطمئنان عليكم ، فشكرته تعالى على توفيقى للقيام بواجب خدمتكم ، أرجو أن تشرفونى دائماً بخدمتكم ، ولا تقطعوا عنى أخباركم السارة ، لأكون على الدوام فى أمان وطمان من جهتكم ، والسلام ؟

١٠ — قد نفذت مشيئتك ، فأديت واجبي نحوك من إطاعة أوامرك ، تحقيقاً لثقتك بي ، فأمر ترني رهين كل إشارة ، شاكراً لك حسن ظنك بي ، أبقاك الله لأخيك المخلص ؟

مكاتبات الشكر

١ — إذا أثقل الصنيع كاهل الحر ، عجز لسانه عن أداء الشكر ، لمن يسدي إليه المعروف ، وإذا كانت المبرة نهاية المبرات ، كان كل شكر لمهديها غير واف بما يكنه ضمير من أهديت إليه ، ولما كان الاعتراف بالجميل ، من أوجب الواجبات عَلَيّ ، وأقدس الفروض لديّ ، سطرت هذه الأحرف بقدر ما أملاه عَلَيّ فكري ، وجرى به قلمي ، شاكراً حسن صنيعك ذاكراً بالثناء جميلك ومعروفك ؟

٢ — المروءة لفظ أنت معناه ، والإنسانية اسم أنت مبناه ، والجميل جسم أنت روحه وقوامه ، فلا عجب إذا أتيت بكل فعل جميل ، واستوجبت على من أوصلت إليه إحسانك الشكر الجزيل ؟

٣ — بقدر ما أسديت إليّ من نعمك ، وغمرتني به من فائض كرمك ، وجب عَلَيّ شكرك ، والمنعم شكره واجب ، فأتقدم إلى مقامك الرفيع ، بما يجب أن يقدم إلى منعم مثلك ، لا بما يقدر أن يقوم به مثلي ؟

٤ — أشكرك شكراً جميلاً ، وأهنئك بما أنعم الله به عليك من حبك الخير والإحسان ، فلقد برهنت بما فعلت على إحساس حيّ ، وشعور شريف ، جعلك الله من عباده المحسنين ، وجعلنا من المخلصين الشاكرين ؟

٥ — أشكر إليك سعة فضلك ، وعظيم منتك ، التي لا يحيط بها بياني ، ويعجز عن شكرها قلبي ولساني ، فاجعل مروءتك شفيعي لديك ، وإنسانيتك وكيلي في الثناء عليك ، واجعل ضعف الشكر ، في جانب قوة العذر ؟

٦ — أما بعد ، فقد وصلنا ولله الحمد لاهجين بذكر جميلك مرتلين آيات جودك وكرمك ، واشترك معنا الأهل والإخوان في واجب الشكر والامتنان ، فكانت حفلتنا مجلس أنس تدور فيه أحاديث فضلك ، وعبارات شكرك ؟

٧ — وصلني كتابك ـ وصلك الله وأبرك ، وجزاك على حسن فعلك وخيرك ـ وقد تمنيت من الله أن أكون لسان لبيب ، أو قلم أديب ، حتى أتلو آيات شكرك ، وأسطر معالم فضلك ، وغاية ما أقول : شكر الله سعيك ، وزادك عزاً وفضلاً.

٨ — أما بعد ، فإني كتبت لكم خطابي السابق ، وأنا مدفوع بشعور صادق في حسن أريحيتكم ، فجاء الواقع مطابقاً له ، وقد زدتم عليه من المكارم ما لا كنت أنتظره . وإني حيال هذه الأيادي البيضاء والهمم الشماء ، أقدم لكم من الشكر ما لا يسعه إمكاني ، وإن كان لكم في جناني من الحب الخالص والود الأكيد ، ما أدخره لكم أبد الدهر إن شاء الله ، وإني أصرح لكم وفؤادي مفعم بكم فرحاً ، بأن ما أسديتموه يعد من أكبر المعونات لي ، حفظكم الله ، وزادكم حياةً وكمالاً

٩ — إنى أزيدكم شكراً على شكرى السابق ، وأهنئكم بما أنفقتموه فى سبيل الخير والإحسان ، فقد برهنتم على أنكم انتهيتم لولوج باب من المجد غفل عنه كثير من إخوانكم ، وسلكتم سبيلاً من شكر الله على نعمه قد انحرف عنه الجمهور الأعظم ممن يتقلبون فى نعم الله ويضنون بشىء منها على عباده ، أكثر الله فى البلاد من أمثالكم لنفع العباد وزادكم رشاداً وتوفيقاً ؟

١٠ — تفضلت علىّ بحسن التفاتك فأسعدتنى ، وإنى حيال هذه المكرمة لا أستطيع ببيانى ، وصف امتنانى ، فلئن شكرتك فإنى لا أقوم ببعض الواجبات ، وإن سكت عجزاً فقد فقدت أعظم الصفات ؛ فمالى إلا أن أستعير من كرم أخلاقك شكراً إليك ، ومن جليل شمائلك ثناء عليك ؟

١١ — بأى لسان أثنى ، أم أى المقاصد الكريمة أعنى ، أشهد بأنك الكريم ابن الكريم ، وعلى كل حال فالثناء ذائع ، والحمد شائع ، واللسان بمدحك ذائع . أسأله تعالى أن يعلى ذكرك ، ويتولى شكرك ، والسلام ؟

١٢ — الألسنة عن أداء شكر جميلك عاجزة ، والأفكار عن حصر نعمك التى غمرتنى بها قاصرة ، فبأى لسان أؤدى الحقوق لذويها ؟ وبأى عبارة أقدم واجبات الشكر لمستحقيها ؟ فأكل أمر شكرك إلى الله ، وأسأله أن يكافئك على عملك ، ويبلغك غاية سؤلك وأملك ، والسلام ؟

١٣ — مثلى من أسرته بإخلاصك ، وقيدته بجميل وفائك ، يجب عليه

أن يقوم بالوفاء لمن وافاه ، وبالولاء لمن والاه ، وهذا كتابى شاهد عدل على ذلك الإخلاص ، ولسان صدق على ذلك الوفاء ، والسلام ؟

١٤ — قياماً بواجب الشكر ، وتأكيداً لرابطة الصداقة ، قد بعثت برسالتى هذه ، وإن كانت لا تقوى على تحمل ما بفؤادى من زائد الشوق ، إلا أنها تناشدك إخلاص ود ، وتقدم لك خالص شكر ، فأرجو أن يكون لها عند الوصول ، منحة القبول ، فأفوز بالمأمول ، والسلام ؟

١٥ — وصلنى كتابك ، الشاهد لك بعلو الهمة ، وكرم النفس ، ولا يسعنى تلقاء هذه المكرمة إلا أن أجمع شكر الناس أجمع ، وأضعه فى صرة من الإخلاص ، وأربطها بحبل الوداد ، وأتوجها بتاج الإخاء ، وأختمها بخاتم الوفاء ، وأقدمها هدية إليك ، فإن قبلتها منى ، تكون ولا شك راضياً عنى ، وأكون أنا الرابح ، وإن كان معروفك فى الوزن والقدر راجح ؟

١٦ — شكر صاحب أسدى إليك معروفاً

حضرة الفاضل المحترم

إنى مهما أطنبت وأطر بتك ، ما استطعت وصف شمائلك الكريمة ، وعواطفك السامية ، ولست مستغرباً فى جزيل فضلك ، وجميل معروفك ، فالشىء من معدنه لا يستغرب ، فصنعك الجميل ليس بتصنع ، وخلقك الكريم ليس بتخلق ، بل غرائز جبلت عليها نفسك الأبية ، وذاتك البهية ، فهكذا تكون المروءة والإنسانية ، اللتان قد دلتا على أصالة أصلك ، ونزاهة نفسك ، وعلو شأنك ، وغزارة فضلك .

فأشكر حضرتكم شكراً قلبياً ، على ما أسديته لى من جليل السعى ، وجميل المعروف ، فإن ذلك قد حقق لى صدق إخائكم ، فلا زلت أخاً صادقاً عطوفاً ، ولا زالت عرى المحبة بيننا وثيقة ، وعلائق الوداد وطيدة ، والسلام ؟

(الجواهر المنتقات)

١٧ — شكر من شخص لمهندس على جميل أبداه نحوه

حضرة الفاضل المحترم

إنى مهما أقمت البراهين الطائلة على شكران مستقيم أفعالك ، واستطلت القضية على مدح عالى همتك وعظيم أخلاقك ، ما تجاوزت نقطة امتداد فضلك وفخارك ، ولا عرفت نهاية حدود علمك وآدابك .

وكيف لا ، وحضرتكم قطب دائرة العلم ، ومركز الفضل والورع والحلم ، يحق للقطر أن يفتخر بغزير فكرك ، ويتعالى بجليل شكلك ورسمك ، فاقت مآثركم على الأهرام ، ونشرت فعمت الآفاق والأعلام ، وأن أعمالكم دائرة على محور العدل والاستقامة ، ومكارم أخلاقكم سائرة فى فلك العلى والكرامة ، فاقبل شكرى على جميل معروفكم الذى لا أفق له بداية ، ولا أقدر أن أدرك له نهاية ، شكراً يملأ زوايا الأرض ، ويعم سناه الطول والعرض ، جعلكم الله مورد وملتقى كل خير ، وأزال عنكم كل شر وضير ، والسلام ؟

(الجواهر المنتقات)

١٨ — من رسالة للسيد عبد الله نديم فى الشكر

الكرم بالهمم فوق الكرم بالمال ، والتعاضد بالأنفع لا بالآل فكم أخ لم تلده الأم ، ودعوة سمعتها الصم .

فالمرء بهمته يعرف نسبه ، وبحسن مساعيه يقدر حسبه ، ولا يعلم السعى الجميل ، إلا فى الخطب الجليل ، ولذلك سُنت المدائح للمفضل المانح ، ولا يشكر على الهمة ، إلا من عرف قدر النعمة .

وأنا ذلك العارف بقدرك المستضىء ببدرك ، العاجز عن القيام بالشكر . وقد حررت هذه السطور ، شاكراً سعيك المبرور ، إلا أنها بلسان الإمكان ، لا بقلم التبيان ، وفى طيها الود والوفا ، وسلام على عباده الذين اصطفى ؟

١٩ — سيدى الصديق حفظه الله

مهما شكرت إليك فضلك ومروءتك فإنى لعاجز عن إيفائك حقك ، وقد بادرت إلى إغاثتى على ما بك الآن من بعض الضيق ، وإذا قصر المخلوق فالحسنة مسطورة فى كتاب الله لمسديها ويؤلمنى جداً أن أسرف من كرمك ، وجميل صنيعك ، ودعائى إلى الله أن أقوم لك ولو بالطفيف من الواجب ، ودعائى إلى الله أيضاً أن يبقيك سنداً للإنسانية ونصيراً .

وقد فحصنى الدكتور وقرر لى العلاج اللازم ، وإنى مائل للشفاء ، فأحمد الله على منته ، وأحمد لك عطفك ، وشريف وجدانك ؟

٢٠ — كتب الثعالبى يشكر صديقاً له

شكرى لسيدى على نعمه التى استرقتنى شكر الروض للمطر ، والسارى للقمر ، فلو كان للشكر شخص يدركه البصر ، ويحصله النظر ، لصورته فأحسنت تصويره ، وقررته فأحكمت تقريره ، حتى يراه السيد بعينه العالية ، كما سمعه بأذنه الواعية ، فتعلم إنى شاكر لأياديه المتصلة اتصال السعود ، ذاكر لمنته المنتظمة انتظام العقود ، ولئن

سكن الشكر سويداء قلبي ، فلقد حركه ما يسير من كلامي مسير الأمثال ، ويسرى في الآفاق مسرى الخيال ؟

أجوبة مكاتبات الشكر

١ — عجبت لشكرك لي على عمل بعض الواجب نحوك ؛ وإنما هي مروءتك التي جعلت على الصغير كبيراً ، وهذا من دليل الكرم ، وعالى الهمم ، أعانني الله على دوام خدمتك ، وحفظ لي مودتك ؟

٢ — إن من يقوم بالواجب لا يستحق شكراً ، بل كفاه فخراً وذكراً ، رضا إخوانه عنه ، وقبوله منه ، وإني أقابل شكرك لي بحمد الله على نعمه عليّ ، وإيصال حب الإخوان إليّ ؟

٣ — الواجب لا شكر عليه ، وشكر المهدى راجع إليه ، على أني لم أقم إلا بما اقتضته إنسانيتك ، ودعاني إليه ظرفك ، ولم يساعدني على أداء الواجب ، إلا روح من روحك ، وقوة من إرادتك ، فأنت أكبر معين لي على عملي ، وإليك منتهى أملي ، والسلام ؟

٤ — وصلني جوابك فرأيته يدور في باب الشكر والثناء ، على قيامي بحق الإخاء ، فعجبت لذلك ؛ لأني أعلم أن الألفة ، تمنع الكلفة ، وإذا تأكد الإخاء ، سقط الثناء ، فكن على يقين ، بأنني لإشارتك رهين ، في كل حين ، والسلام ؟

مكاتبات السؤال عن الصحة

١ — وقفت على ما شكاه سيدى من العلة ، شفاه الله تعالى منها ، وعوضه الصحة عنها ، وودت لو قبلتني العلة فداء ، وأمكنني أن أسدى له الشفاء ، لكنت أنقل إليه الصحة نقلاً ، وأبذل ما عندى من العافية بذلاً ، وكنت بذلك فرحاً جذلاً ؟

٢ — أجسام الأصدقاء تشترك فى الأسقام والعافية ، كما تشترك فى الإخلاص والمودة ، وما ألم بأخى من المرض ، والألم رأيته حالاً فى جوارحى ، مؤلماً لجوانحى ، ممازجاً لأعضائى ، فلا عجب ! إذ أنا مرآة حالتك ، تسقمنى علتك ، وتحيينى صحتك ، فأرجو الله أن يمنّ عليك بالعافية قريباً إن شاء الله ؟

٣ — ما انفرد جسمك بالعلة دون جسمى ، ولا اختصت نفسك (حرسها الله) بمعاناة المرض دون نفسى ، ولم أزل من ألمك شاكياً ، ولله داعياً ، بأن يزيل عنك هذه العلة ، ويمنحك السلامة والعافية ؟

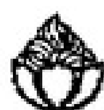
٤ — وصل كتابك المتضمن ذكر علتك ، جعل الله أولها كفارة وآخرها عافية ، ولا أعدمك على الأولى أجراً ، وعلى الأخرى شكراً ؛ وأظن أنى لو رأيتك عليلاً لانصرفت عنك وأنا أعل منك ، لأنى بحمد الله جلد على أوجاع أعضائى ، غير صبور على أوجاع أصدقائى ، شفاك الله وعافاك ؟

٥ — بلغنى ما ألم بك من انحراف الصحة ، فشق عَلَىَّ ذلك كثيراً وجئت بهـذا مسرعاً بالسؤال عنك ، والاستفسار عن صحتـك ، أزال الله ما بك ، وصرفه عنك ، وعجل بالشفاء لك ، آمين ؟

٦ — جزعت لخبر إصابتك ، وهممت لعيادتك ، ولـكن الهمّ بيننامشترك لأنى عليل بعلتك ، فليس فى وسعى إلا بسط العذر ومثلك من يقبل ، شفاك الله وعافاك ولا أشمت فيك عداك ؟

٧ — أذن الله بشفائك ، وتلقى داءك بدوائك ، وألقى ثوب العافية عليك ، ووجه وفد السلامة إليك ، وجعل علتك ماحية لذنوبك ، مضاعفة لثوابك ، والسلام ؟

٨ — إن الله سبحانه وتعالى يبتلى عبده ليصبر ، ويعافيه ليشكر ، فاصبر على ما أصابك ، فعاقبة المرض العافية ، وعاقبة الصبر الشكر ، وجزيل الأجر ، والسلام ؟



أجوبة مكاتبات السؤال عن الصحة

١ — وصلني كتابك وأنا طريح الفراش ، كثير الارتعاش ، فأورث قلبي الراحة ، وخفف عني الألم ، وما كدت أتم مطالعته حتى برقت لي بارقة الشفاء، وزال ما بي من العناء ، فجزاك الله عني خير الجزاء ؟

٢ — أشكركم على تفضلكم بالسؤال عن صحتي ، وأسأله تعالى أن يقيكم شر الأمراض ، ويحفظكم من كل سوء ، وأن يديم عليكم الصحة والعافية ، آمين ؟

٣ — بيد الشوق تناولت كتابك ، و بتلاوته شعرت بانتعاش في نفسي ، وراحة في جسمي ، و بلغني أني لو رأيتك لانصرفت عني العلة ، وعادت إلى العافية ، فحقق ظني بزيارتك ، لا أحرمني الله نعمة مودتك ، والسلام ؟

٤ — لكل داء دواء ، ولكل علة شفاء ، وكأني بك أيها الأخ وقد أودع الله في روحك الطيبة شفاء لعلتي ، وفي أنسك تقوية لصحتي ، فمذ غبت عني اعتراني السقم ، وزاد بي الألم ، ففي بعدك دائي ، وفي قربك دوائي ، فإن كنت تريد شفائي ، تفضل بالحضور ، لأحظى منك بالسرور ؟

مكاتبات التهانى

١ - التهنئة بالشفاء من المرض

١ — وصل كتابك مخبراً بعافيتك ، مبشراً بسلامتك ، مذكراً بلذيذ عشرتك ، وطيب ألفتك ، ناطقاً بصحيح ودك ، مصدقاً لكريم عهدك ، فهدأت نفسى ، وعادت الروح إلى جسمى ، وإنى لآنس بذكرك فضلاً عن مكاتبتك ، وبمكاتبتك عن رؤيتك ، حتى أحظى بمكاتبتك ، والسلام ؟

٢ — وصلنى خبر شفائك وعافيتك ، فملأ فؤادى بشراً وسروراً ، وشكرت الله على ما منّ به عليك من العافية ، وسألته أن يقيك عوارض الأسقام ويصونك من حوادث الأيام بفضله وكرمه ؟

٣ — ما كنت أعلم أن عافيتى مقرونة بعافيتك ، وسلامتى متعلقة بسلامتك ، إلى أن تحققت ذلك من مشاركتى لك فى حالتى المرض والصحة ، فالحمد لله الذى شرفنى بمناسبتك ، وأشركنى معك فيما ساء وسرّ ، وأشكره تعالى على ما خصنى به من كمال عافيتك ، وبلوغ سلامتك ؟

٤ — قد قضيت مدة مرضك وأنا لألمك شاكياً ، ولله داعياً ، إلى أن كشف عنك الغمة ، وأزال ما بك من العلة ، وأنعم عليك بالسلامة والعافية ، وأوجب علينا جميعاً فروض الشكر ، فلله الحمد على سلامتك ، حمداً نستحق به المزيد فى صحتك ، والسلام ؟

٥ — تخلفت عن عيادتك لعذر قام بى ، وقد بلغنى خبر شفائك فكتبت هذا مهنئاً لك بالعافية ، أدامها الله عليك ؟

٦ — شفاؤك أيها الصديق مما ألم بك جاء شفاء لما فى الصدور ، وبرداً وسلاماً على القلوب ، وأزال عنا العناء ، وأفاض علينا السرور والهناء ؛ فالله يبلغك بالصحة صالح الأعمال ، ومنتهى الآمال ؟

٧ — لو استطعت أن أكون مكان كتابى هذا ، مشافهاً أسيدى بالتهنئة على شفائه ، لكنت أسرع أحبابه بالحضور إلى بابه ، لكننى معوق عن ذلك بما أنا فيه من كثرة المشغولية ، فليتقبل منى تهنئة تدل على اشتراكى معه فى السرور ، بما ناله من الصحة والعافية ، داعياً له بسلامة الحياة ، وطيب العيش ؟

٢ — التهنئة بالقدوم من السفر

١ — سلامى عليك ، سلام أخ مشتاق لأخيه ، وبمزيد شوقه وسلامه يهديك ، وبسلامة الوصول يهنيك ؟

٢ — من كانت غيبة المكارم مقرونة بغيبته ، وعودة النعم موصولة بعودته ، سافرت الأنفس حيث كان إليه . وأقبلت الأرواح عند قدومه عليه ، وما زالت الأنفس إلى الأمنية بقرب لقائك متطلعة ، ولورود السرور بعودتك متوقعة ، إلى أن جاء البشير فرد الروح الجسد ، وأزال الهم والنكد ، وملأ القلوب سروراً وفرحاً ، فإليك أقدم خالص التهنئة بسلامة قدومك ، داعيا الله أن لا يحرمنى نعمة وجودك ؟

٣ — جاءنى البشير بعودتك من كعبة الإحرام إلى كعبة الكرام ، ومن موقف الحجاج إلى موقف الأحباب والأصحاب ، بعد قضائك فريضة الحج والسعى المشكور ، فحمدت الله على سلامة عودتك ، و بلوغ أمنيتك ، فأهنئك ، وأقرن الهناء بالدعاء ، بأن يتقبل الله عملك ، و يبلغك غاية أملك ، والسلام ؟

٤ — عدت وثوابك مسطور ، وذنبك مغفور ، وتجارتك رابحة ، جعل الله سعيك مشكوراً ، وذنبك مغفوراً ، وحجك مبروراً ، ودمت سالما مسروراً ؟

٥ — عدت أيها الأخ ، فعاد لنا أنسنا وسرورنا ، واجتمع بك شملنا بعد فراقنا ، واطمأنت قلوبنا ، وارتاحت نفوسنا وخواطرنا ، وزالت شواغلنا وأكدارنا ، وعمت المسرة أفئدتنا و إحساساتنا ، فنرحب بك أيها الأخ ، ونهنئك ونهنئ أنفسنا بسلامة عودتك ؟

٦ — أخى : لو تذكرت يوم وداعك ، الذى كنا فيه آسفين على فراقك ، لقدرت اليوم كم يكون سرورنا ، وفرحنا بعودتك ولقائك ، ولو تصورت مقدار انشغالنا بك مدة غيابك ، ومزيد اشتياقنا إليك ، وعظيم شغفنا بك ، لعلمت مقدار ما حصل لنا من الارتياح والانشراح برؤيتك ، والاطمئنان على عزيز أخوتك واعتدال صحتك ، لا أحرمنا الله نعمة وجودك ، والسلام ؟

٣ — التهنئة بأول السنة وشهر الصوم

١ — عظم الله عليك بركة هذا الشهر المحرم ، وهذه السنة المباركة ، وجعلها أيمن سنة حلت عليك ، وأوصل فيها الخيرات والمسرات إليك ، بمنه وكرمه ؟

٢ — جدد الله لك فى كل يوم من أيام هذه السنة الجديدة ، حظوظاً من الخيرات عديدة ، وأقساماً من المسرات ما ترضى بها نفسك إليها ، ويرتاح ضميرك وتسر لها إخوانك ؟

٣ — عظم الله عليك بركة هذا الشهر الشريف ، وأعاشك لأمثاله ممتعاً بسوابغ نعمه ، محروساً من حوادث الدهر ، موفقاً لصالح الأعمال ، وأسعد الأحوال ، مقبولاً عند الله والناس ، آمين ؟

٤ — عظم الله عليك نعمة هذا الشهر ، وأعانك على صيامه وقيامه ، ومنحك المزيد من فضله وإنعامه ، وختم لك بالسعادة العظمى ، بعد قضاء العمر فى عز وصحة وهناء ؟

٥ — عظم الله عليك بركة هذا الشهر وأمثاله ، ووصل لك السعادة باتصاله ، وجدد لك النعمة بتجدده ؟

٦ — أسبغ الله عليك بركة هذا الشهر العظيم ، ووفقك فيه لصالح الأعمال ، وأزكى الأفعال ، وقابل بالقبول صيامك ، وبعظيم الأجر قيامك ، ولا أخلاك فى سائر ما يتبعه من الشهور ، ويليه من الدهور ، من أجر تدخره وأثر تذكر به ، وتشكر عليه ؟

٧ — أسعدك الله بهذا العام وإقباله ، وأعاشك لأمثاله ، ممتعاً بدوام العز والنعمة ، واجتماع أسباب الراحة والصحة ؟

٨ — تقبل الله بالقبول صيامك ، وآجرك على صلاتك وقيامك ، وأعاد

إليك أمثاله ، ونجح أعمالك ، وأصلح فى الدين والدنيا أحوالك ، و بلغك منتهى آمالك ؟

٤ ـ التهانى بالعيد

١ ـ عظم الله عليك بركة هذا العيد ، وأعاشك لأمثاله من الأعياد فى أهنأ عيش وأرغده ؟

٢ ـ أسعدك الله بهذا العيد ، ووصل أيامك بعده بأكمل السعادات ، وأتم البركات ؟

٣ ـ كل يوم أسعد فيه بمشاهدتك ، وأقطعه فى ظل مودتك ، حقيق بالأعياد ، جدير بأن يكون من محاسن الأعياد ، فأطال الله بقاءك وجعل سائر أيامك مقرونة بالخيرات ، موصولة بالبركات ؟

٤ ـ أردت أن ألتمس لك تهنئة لا يشاركنى فيها أحد ، فلم أجد من العبارات ما يخرج هذا الوجدان إلى عالم الكلام ، فإليك تهنئة عموم الناس ، الذين يرددون هذه التهنئة فى خلال أيام العيد ، أبقاك الله لأمثاله فى عز مديد ، وعيش رغيد ؟

٥ ـ هذا يوم عيد يتهادى فيه الناس بأجمل التهانى ، ويتضرعون إلى المولى بنيل الأمانى ؛ أما أنا ، فعيدى وبهجة نفسى ، وسرور فؤادى ويوم فرحى وأنسى ، يوم أراك فيه ممتعاً بكمال الصحة ، حائزاً أعلى الدرجات ؟

٥ ـ التهانى بالاقتران

١ — وصلتنى تذكرة دعوتك ، للاحتفال بقرانك ، وكنت أود أن أكون أسرع الناس لإجابة طلبتك ، لولا مانع عاقنى من الحضور للأنس بك ، والتمتع برؤيتك ساعة زفافك ، إنما هذا لا يمنعنى من تقديم عبارات التهنئة ، والدعاء لك بالتوفيق والهناء ، فتقبلها ولك الشكر والثناء ؟

٢ — جاءتنى البشرى بالاحتفال بقرانك ، فابتهجت فرحاً وسروراً ، ودعوت الله أن يجعله عقداً محموداً ، وقراناً سعيداً وأن يقرنه بأجمل المنح والمواهب ، وأن يجعل شمل مسرتك به ملتئماً ، وسبب أنسك منتظما ، ولا أخلاك فيه من التهانى بأنجب الأولاد ، وهنأنى بلقائك ، ومتعنى وسائر إخوانك بمودتك ؟

٣ — قرن الله بالخير ما عقدت ، وأوصل إليك بركات هذا الاتصال ، ورزقك فيه السعادة والإقبال ؟

٤ — إن مثلى من كان متصلاً بحبل مودتك ، متمسكاً بأذيال أخوتك ، أولى الناس بتهنئتك بورود نعمة أو اتصال موهبة من الله إليك ، بارك الله لك فى القران السعيد الحميد ، وجعله مقروناً بالهناء ، والبنين والرفاء ؟

٥ — إن من نعم الله الزواج ، فهو عماد الحياة ، وروح الشرف والعفة ، يقابلها الحرُّ بالإجلال والاحترام ، حيث بها يدخل فى عداد الفضلاء الكرام ، فإليك أيها الأخ أقدم خالص التهنئة بهذا القران السعيد ، وأدعو الله أن يمتعك بهذه النعمة ،

وأن يجعلها مورد صحة وسعادة ، وأن يرزقك خلفاً صالحاً يزيد فى شرفك ، ويكثر من ثروتك ، ويعلى اسمك وذكرك ؟

٦ — لقد أصبت أيها الأخ فى زواجك مبكراً وأحسنت الاختيار فى نسبك فأهنيك على خروجك من دور الشباب المملوء بالمفاسد والمعاصى سالماً طاهراً ، ودخولك زمرة الرجال حامداً شاكراً .

أهنئك على النسب الشريف الذى اتصلت به وظفرت ؛ بل أهنئك بالمنزل السعيد الذى أصبحت ربه ، والأسرة الكريمة التى صرت عمادها ؛ ثم أهنئ المجتمع الإنسانى الذى ستزيد إن شاء الله فيه من ذريتك الصالحة الطيبة ، ما يزين العشيرة . دام بك التوفيق ، وهنأك بما أنت به جدير وحقيق ؟

٧ — رسالة من ولد غائب إلى والده يخبره بزفافه

سيدى الوالد المحترم

لما كانت سعادة المرء فى هذه الدنيا لا تتم إلا بشريكة مهذبة ، تشاطره متاعب الحياة وملاذها ، أخذت فى البحث عنها بمزيد العناية والتأنى ، إلى أن حصلت على بغيتى فى إحدى الأسر الكريمة الأصل ، فشكرت الله الذى وفقنى لاختيار فتاة فى عنفوان شبابها ، جميلة الخَلق والخُلق ، متحلية بالمعارف والآداب ، خبيرة بحاجات البيت وحسن تدبيره ، فبادرت إلى خطبتها قبل استشارتكم ، والاستنارة برأيكم السديد ، والوقوف على رضاكم ، خوفاً من أن أحرم هذه الزوجة الصالحة التى يلح فى طلبها من أهلها كثير من الشبان . وقد ضربنا موعداً لعقد القران ، يوم الأحد القادم فأرجو أن لا تحرمنى من رضاكم الأبوى ، ودعواتكم الطيبة ، حتى يتم لى بذلك

سروري وهنائي وكن ياسيدي الوالد على ثقة تامة من أن هذا القران لا يزيدني بعداً عنكم ، بل تمسكاً بكم ، ومحبة لكم ، واعترافاً بفضلكم ؛ لأن المرء لا يعرف قدر والديه ، ولا يحصي فضلهما عليه ، إلا إذا تزوج ورزق أولاداً وقام بتربيتهم ، فعندئذ يفي بعض الحقوق التي عليه لوالديه . والله تعالى أسأل أن يبقيك لنا ذخراً ، ويمتعنا بحياتك ، والسلام ؟

من ولدك المطيع

٨ — جواب الوالد بتهنئته

ولدي الحبيب ، ومهجة فؤادي

بمزيد السرور والارتياح طالعت رسالتك التي تخبرني فيها بعزمك على الاقتران بكريمة فلان في القريب العاجل ، مخافة أن تحرم منها ، وأنها من خيرة النساء ، وأكرمهن أصلا ، وأكثرهن خبرة ، بالآداب المنزلية وطرق الاقتصاد ، وغير ذلك من المزايا التي تحقق شدة رغبتك فيها ، فطربت بهذه البشرى ، وفرحت بما قسم الله لك ، ودعوته تعالى بأن يوفقكما وأن يفيض عليك وعلى قرينتك من نعمه ومواهبه حتى تحلو لكما الحياة ، ويطيب لكما العيش ، ويرزقك منها الخلف الصالح ، وكنت أتمنى من صميم قلبي أن أحضر حفلة زفافك المبارك ، ليعظم فرحي ، وتنتعش روحي ؛ ولكن الدهر ضنين ، والعذر واضح ، فأكتفي الآن أن أوجه إليك أجمل التهاني ، الصادرة من قلب والد راضٍ عنك ، ممنون منك ، يتمنى لك ولقرينتك تمام الراحة والسعادة والهناء .

وأرجو أن تقرأ كتابي هذا على مسامع زوجتك العاقلة ، وحقق لها أنه قد أصبح لها في صدري مالك من المنزلة ، وإني أحسبها من الآن ضمن أبنائي ، وأجدرهم بعطفي وحناني وبلغها عني أزكى تحياتي ، وعظيم احتراماتي ، ودمت لوالدك ؟

٦ ـ التهانى بالمولود

١ — قد اتصل بى خبر الولد الصالح الذى رزقت ، والخلف الطيب الذى وهبت ، ففرحنا لقدومه ، واستبشرنا لوفوده ، جعله الله تعالى ولداً مباركاً ميموناً ، قدوم السعد ، و بشير المجد ، وزاد به فى ثروتك ، و بلغك به غاية أملك ، وسرك بوجوده ، وقرّ عينيك برؤيته ؟

٢ — علمت بنعمة الله الجديدة عليك ، والنسل الصالح الذى قدم ، فسررت بقدومه ، واستبشرت بوجوده ، جعله الله عنصراً طيباً ، وخير خلف لأبيه ، وزين به العشيرة ، وحقق فيه أملك ، وأطاب به عيشك ، آمين ؟

٣ — كيف أصف لك سرورى عند تلاوة كتابك ؟ وكيف أعبر لك عما داخلنى من الفرح عند ما علمت بمولودك السعيد ونجلك الصالح ؟ فبلسان الإخلاص والمجد أهنئك أنت وجميع أسرتك بهذا الخلف المبارك ، جعله الله خلفاً طيباً ، ونسلاً مباركاً صالحاً ، وأن يطيل حياته ، و يمتعه بوجودك ، وأن يجعله قرة عين لوالديه ، و بشير السعادة لأبويه ؟

٤ — وصلنى كتابك حاملاً لىَ البشرى بمولودك النجيب ، فاستفزتنى غبطة الفرح ، واستولت على جوامع لبى ، وتملكتنى بهجة السرور فأخذت بمجامع قلبى ، وتضرعت متوسلاً إلى ذى العرش المجيد ، بأن يجعله قرّة عين الوالد ، و يقيه من شرّ حاسد ، ويؤتيه السعادة فى الدنيا والآخرة ؟

٥ — اتصل بى خبر مولود كم فسرنى ما وصلك الله به من النعمة ، وسألته أن يرزقك شكرها ، و يؤنس بهذا المولود أسرتك ، و يزيد به فى نعمتك ؟

٦ — إن أفضل النعم موقعاً ، وأشرفها موضعاً ، نعمة الله تعالى فى الولد ، لزيادتها فى العدد ، وقوة العضد ، ولما يرجى من حسن مآلها ، وعاقبتها فى حفظ النسب والأصل ، وقد اتصل بى خبر مولودكم السعيد ، فقمت لله بشكر هذه النعمة ، وهنأت نفسى بها ، جعله الله مباركاً صالحاً ، وفسح له فى أجلك ، و بلغك فيه غاية أملك ، إن شاء الله ؟

٧ — مرحباً ببكر النساء ، و بكر الأولاد ، وعقيلة الحياء ، بارك الله لك فيما رزقك ، وسرك بعدها بأخ لها ، يكون فى الخير قرينها ، و بالبركة شريكها ؟

٨ — جعل الله سبحانه حفظ النسل فى البنات ، ومنهن تكونت العائلات ، وقد أعطاك الله بنتاً فأحسن إليك انتخابه ، لتكون بين بنات العصر (إن شاء الله) سيدة من أشرف السيدات ، وفى هذا ما هو لك بالفخر العميم ، والهناء المقيم ؟

٧ـ تهنئة بدخول صبى فى المدرسة

١ — سيدى

إن من أجلّ نعم الله على عبيده ، التى تستحق الشكران ، وتستوجب الهناء والامتنان ، نجابة الأولاد ؛ وهذه لا تكون إلا بحسن تربيتهم ، وتهذيب أخلاقهم ، وذلك بدخولهم المدارس النافعة . وقد بلغنى دخول نجلكم العزيز بالمدرسة ، ففرحت لذلك فرحاً عظيماً ، ورأيت من الواجب أن أهنئكم على هذه النعمة المستقبلة ، التى ستجدونها (إن شاء الله) فى نجلكم السعيد ، أدام الله سعودكم و إقبالكم ، ومتعكم به وهنأه بحياتكم ، والسلام ؟

٨ ـ تهنئة بمسكن

١ — إن أشرف المساكن ، وأطهرها بقعة ، وأرفعها منزلة ، ما اتخذه سيدى لنفسه مسكناً ، وجعله بوجوده به حرماً آمناً ، وسيَّره للسائل مقصداً ، وللمحتاج مورداً . والله تعالى أسأل أن يجعل هذا المسكن عامراً بسعادتك ، مملوءاً بطيب ذريتك ، مضيئاً بنور طلعتك ؟

٢ — أسعد المنازل ، وأشرف المواطن ، ما حللت فيه وتخيرته لنفسك ، فأصبح بوجودك وطن الإقبال ، وبمزيد كرمك كعبة الآمال ، جعل الله هذا المنزل مباركاً عامراً بالخيرات ، مملوءاً بالبركات ، ورزقك فيه رزقاً حلالاً طيباً ، وذرية صالحة ، آمين ؟

٩ ـ التهانى بالترقى والرتب

١ — الحمد لله على ما منحك من كرامته ، وجدد لك من نعمته ، وهنأك بما أعطاك ، وأمدك بالزيادة وبالإحسان والآلاء ؟

٢ — اتصل بى ما جدده الله تعالى عليك من الشرف والسيادة ، وأوصله إليك من النعم والسعادة ، التى كانت واضحة فى سماء فضلك ، مكتوبة فى صفحات عملك ، ففرحت لذلك فرح الأخ المشارك ، وسررت سرور الحبيب الصادق ؟

٣ — إنك لأرفع قدراً ، وأشهر فضلا ، من أن تهنَّأ بوظيفة جديدة وإن عظم قدرها ، لأن الواجب تهنئة الأعمال بكفاءة العمال ، والرعية بفضائل الراعى ،

فرعاك الله فى سائر ما أولاك ، ولا أخلاك من التوفيق فى جميع أحوالك ، وجعل الحق والخير جاريين على يديك ولسانك ، وأوضح لك طريق السعادة ، وأفاض عليك من منحه الخفية ما تسر به أحبابك ، وتكبت به أعداءك ؟

٤ — اتصل بى خبر النعمة التى أسبغها الله عليك ، والرتبة التى أحلها محلها ، وأهديت إلى أهلها ، ووصلت بكفئها ، والله تعالى يجعل هذه الرتبة أول مرقاة من مراقى التقدم ، ويبلغك المرام فى الدنيا والآخرة إن شاء الله ؟

٥ — أطال الله بقاء أخى ، ففى إطالته حياة لى وأنس ، وأدام عزك ، ففى إدامته دوام الشرف ونمو المعالى ، وأتم نعمته عليك ، فإنها نعمة حلت محل الاستحقاق ، وصادفت منزلة الكريم ، ووقفت على من لا ينكر الفضل محله ؟

٦ — إنى لا أكتفى بأن أهنئك وحدى ، بل أشرك معى جميع الإخوان فى تهنئتك ، على ما أنعم الله به عليك ، فقد اجتمعت القلوب على محبتك ، وانطلقت الألسنة بحسن الثناء عليك ، حياك الله وأبقاك ، وأدام علاك ؟

٧ — سرنى اليوم ما نقلته الصحف من البشرى بالرتبة التى أنعم بها عليك ، ولا أدرى أهنئك أم أهنئ الرتبة بك ؟ ولكنى أختار الثانية ، لأن مثلك إذا نال رتبة زانها وشرفها ، ولا غرو فإنك بها جدير ، ولها أمير ، والسلام ؟

٨ — مهما أطلت الكلام فى تقديم واجب التهنئة أرانى مقصراً ، وأنت أعلم بما يكون عندى من الفرح والسرور عند علمى بترقيتك ، فلتهنأ كما هنأت نفسى من قبل ، وليدم لك السعد والمجد والفضل ؟

٩ — أحمد الله إليك ، على ما منّ به عليك ، من نعمة أنت بها جدير ، فهي ولا شك صادفت محلها ، وتشرّفت بمن نالها ، وستكون إن شاء الله مقدمة إحسان ، يعقبها جليل إنعام ، تسر به الأحبة والإخوان ؟

١٠ — ليهنأ سعادة البيك برتبته ، وليقبل تبريك أهله وأحبته ، وليكن السعد دواماً فى خدمته ، والربح فى تجارته ، والتقدم فى صحته ورفعته ؟

١١ — شكراً لله فقد أجاب دعاءنا لك بالتقدم ، وهنيئاً لك فالمعالى أجابتك بالترقى ، فأهدتك رتبة بك فازت وتهنت ، ونحن لك فرحنا وسررنا ، دمت فى عز وإسعاد ، ملحوظاً بعناية رب العباد ؟

١٢ — أقدم لحضرتكم مزيد التهنئة بالحظوة التى نلتموها مما أنتم به خير جدير ، نعم إن مكانتكم العظمى ، وكفاءتكم المشهورة لأليق بأكثر من ذلك ، ولكنها إن شاء الله بداية ، تبشرنا بحسن النهاية ، وبلوغ الغاية ، التى يتمناها لكم المحبون ، والسلام ؟

١٣ — تهنئة

لم نجد قولاً أجل ، ولا أبلغ ، ولا أفصح ولا أمتن ، ولا أحكم ، ولا أمكن ، فى تهنئة أستاذنا (أحمد باشا زكى) برتبة الميرميران التى جاءته متأخرة ، ووصلت إليه متباطئة ، من قول شيخ الشعراء ، وإمام الفضلاء ، سعادة (إسماعيل باشا صبرى) ، إذ قال رفع الله قدره ، وأبقى ذكره :

زكى يا صفوة أبناء العرب وخير من ألف فينا وكتب

نلت المعالى وتسنمت الرتب تسعى إلى بابك من غيرطلب

لو لم تكن باشا لأغناك الأدب والعلم والفضل وزياك اللقب

لو أن كل معجب بما كتب هنأك اليوم بسطر من ذهب

لمـــا أتى إلاّ ببعض ما يجب

وإسماعيل باشا صبرى شاعر إذا قرأ المرء شعره ذكر المجيدين من شعراء الأغانى والأوائل من نوابغ المتقدمين ، ومن يقول مثل :

يا موت خذ ما أبقت الـ أيام والساعات منى

بينى وبينـك خطوة إن تخطها فرجت عنى

١٤ — إلى اسماعيل باشا صبرى

تهنئة له بوظيفة النائب العمومى :

لم ينلها سواك من أهل مصر والمعالى بالخاطب الكفء تدرى

طمحت النفس إليهـا فصانت حسنها عنهمو صيانة بكر

وابتغت كفأها فكنت رضاها فهى شمس صيرت إلى مستقر

ومنهـا :

أمضى فينا القانون لا فرق فيه بين زيد من الرعايا وعَمرو

وانصر الحق ما استطعت وأصلح أمره إن نصره خيرُ نصر

لا تكن ليناً فترمى بضعف لا ولا جافيـاً فترمى بكسر

بين هذا وذاك ينهج حميـــد آمن من يجوزه كل شر

حفنى ناصف

١٠ – تهنئة ببراءة

١ — يريد الحاسد أن يسيء إليك ، ويبذل جهده فى إيصال الأذى إليك ، وإبعاد الراحة عنك ، وسلب الشرف والحق منك ، ويأبى الله إلا أن ينصرك عليه ، ويرد كيده فى نحره ، ويبرئك مما نسبه إليك ، ويشرف قدرك ، ويعلى اسمك ، فكفاك فخراً ، وكفاه خذلاناً وعاراً .

وإذا أراد الله نشر فضيلة ... طويت أتاح لها لسان حسود

فلتهنأ ببراءتك ، وليفرح لك إخوانك وأحبتك ؟

أجوبة مكاتبات التهانى

١ — تلقيت من أخى عبارات التهنئة على ما منّ الله به علىّ ، فتحققت عندى ما توسمته فيه من صادق المحبة ، وخالص المودة ، وإنى أهنئ نفسى على منزلتى عنده ، وأتمنى له رقياً وتقدماً ورفعة ؟

٢ — إن ما تفضلتم به علينا من التهنئة قد أعرب عن حسن تعطفاتكم الودية ، وعنايتكم الأخوية ، فاستوجبتم زيادة شكرنا لكم ، لا أحرمنا الله نعمة ودكم ؟

٣ — إنى أعد من أعظم نعم الله رضاء إخوانى ، وقد وصلنى جواب تهنئتك لى بما أنعم الله به علىّ ، فتحققت من ذلك رضاك وفرحك بأخيك ، فأهنئ نفسى بهذا الفوز المبين ، والحمد لله رب العالمين ؟

٤ — لم أسر بالرتبة التى نلتها بأكثر من سرورى بمحبة الإخوان ورضاهم عنى ؛ لأن هذا أكبر دليل على رضا الله ، بل أحسن رتبة يحظى بها المرء فى حياته ، وتبقى له ذكرى بعد مماته .

وفقنا الله وإياك إلى ما فيه رضاء الخلق والخالق ؟

٥ — لقد تأثرت تأثراً حسناً من الإحساسات الشريفة التى أعربتم لنا عنها فى جواب تهنئتكم ، وإنى أقابل هذه التعطفات بالتشكرات الخالصة ، والدعاء لكم بصلاح حالكم ، وبلوغ آمالكم إن شاء الله ؟

٦ — ولدى العزيز

جاءتنى رسالتك المهنئة لى بالعام الجديد المعبرة عن عواطفك البنوية ، فتلوتها فرحاً مسروراً ؛ لأنها مثلتك أمامى ، ودلتنى على مقدار حبك لأهلك ووطنك ؛ ولذلك أهدى إليك تمام رضائى عنك ، وخالص حبى نحوك ، وإنى أنتهز هذه الفرصة لأوجه إليك بعض نصائح مفيدة لا أشك فى أنك ستتبعها بإخلاص وأمانة وتعمل بها بكل ما فى وسعك : فاعلم يابنى ، أن الوقت ثمين ، وإذا مضى لا يعود ، فعليك أن تنتفع منه حتى لا يذهب سدى ، فتتأسف على خسارته ، والعاقل من يقتبس لنفسه من مرور الأعوام دروساً نافعة ، فيبتعد عن أعمال الطيش والملاهى ، ويقبل على الأعمال الصالحة التى تكسبه عند الله أعظم الأجر ، وعند الناس أجمل الذكر ، فاسلك مسلك العقلاء ، واعرف قيمة الوقت ، وتجنب غلطاتك وسيئاتك السالفة ، وابتعد عن مواطن الذل ، وكن من اليوم كبيراً فى صفاتك ، كبيراً فى أفكارك وأعمالك ، فتكسبنى راحة ومسرة ، تسلينى بها فى شيخوختى ، وتحلى بها مرارة العيش . ولا

إخالك إلا طائعاً أمرى ، منقاداً لفكرى ، عاملا على ما فيه خيرك ونجاحك ، حرسك الله وأبقاك لكل عام ، فى صحة وسلام ؟

٧ — أخى المحبوب

أخذت كتابك بيد المسرة ، متضمناً معايدتك لى وتمنياتك الدالة على إخلاصك لى ، فلا يسعنى إلا أن أقدم لإخوتك خالص التهنئة بهذا العيد ، داعياً الله بأن يجعل أيامك كلها أعياداً وأوقاتك أوقات سرور وهناء ، وأن يزيدك من نعمه ما يجعلنا على الدوام فى غبطة ومسرة من جهتك ، والسلام ؟

٨ — أتانى كتابك يوم العيد ، فكان لى بقراءته عيداً ثانياً ، لما تضمنه من العواطف الرقيقة ، والتحيات اللطيفة ، الدالة على حبك وإخلاصك لى ، فأشكرك وأهنيك بهذا العيد ، وأسأل الله أن يمتعك بحياتك ، ويقر عينيك برؤية أولادك على الدوام فى صحة وهناء ؟

خطب تهنئة بزفاف

١ — سادتى — أقف بينكم هذا الموقف ، وأنا مستشعر فى فؤادى برنة السرور والفرح ، لاجتماعى وائتناسى بكم هذه الليلة ، التى أعدها من ليالى سعدى وحظى ، حيث نلت فيها كما نلتم جميعاً أوفر نصيب من الأنس والفرح ، وأظنكم تشعرون بهذا الإحساس وتشاركوننى فيه ، فطيبوا نفساً ، وانشرحوا خاطراً ، وادعوا جميعاً للعروسين بالتوفيق والهناء ، والعز والبقاء ، آمين ؟

٢ — كيف يتصور الإنسان ، أو يعبر اللسان ، عن وصف هذا المهرجان الجامع لأبهى الزينات ، ومحاسن أنواع الأنس والمسرات ؟

أعَن بديع مناظر هذه الأعلام والرايات التى تخفق فوق الرؤوس ، فتبتهج لرؤيتها النفوس ؟ أم عن بزوغ شموس هذه الأنوار ، التى يأخذ سناها بالبصائر فضلا عن الأبصار ؟ أم عَن لذيذ سماع رنات ونغمات هذه الآلات والعيدان ، التى تنعش الفؤاد ، وتشنف المسامع ، وتأخذ بالجامع ؟ أم عَن تشريف حضرات السادة هذا المكان ، من الأهل والأحباب والإخوان ؟ الذين بوجودهم تم نظام هذا المهرجان ، المحتفل فيه بقران أعز الإخوان ، ونابغة الشبان . فإليكم أيها السادة الأخيار خالص الشكر والامتنان ، وإليك أيها العريس عبارات التهانى بالإصالة عن نفسى و بالنيابة عن جميع الإخوان . وفى الختام أدعو الله بخالص جنان ، وصدق وجدان ، أن يقرن هذا القران بالتوفيق والهناء ، والسعادة والرفاء والبنين ، آمين ؟

٣ — أيها السادة الفضلاء

حكمت علىّ محكمة الأنس والفرح ، بالوقوف بينكم لأعبر لكم عما خالج ضميرى ، وما زج فؤادى ، من عبارات السرور وعلامات البشر ، فأقول : يانفس طيبى ، وافرحى ، واستبشرى إن السرور عظيم ! وياعين قرى وانظرى ، وانجلى إن الضياء جسيم ! ويا أذن إصغى لرخامة الأصوات ، واستعذبى حلو السماع ولذة النغمات ويا أعضاء جسمى اهتزى ارتياحاً ، وانتعشى انشراحاً ، فالجو صاف ، والأنس واف ! ويا محمود الخصال تهنأ وافرح ، وتمتع ودم فى عز و إقبال ، فتلك ليلة بهية ، هى بهجة الأعياد ! وفى الختام أدعو الله أن يقرن هذا القران بالتوفيق والخيرات ، وأن يمن على الأحباب بالأفراح والمسرات ؟

٤ — سادتى ، وسيداتى

لو كان لليالى ألسنة تنطق بالفخار ، وأعين تنظر بالاعتبار ، وقلوب تشعر ونحن عند سماع الألحان والأشعار ، لأعربت لنا بأن ليلتنا هذه من أفخر الليالى وأجلاها ، وأسعد الأوقات وأهناها ؛ لأنها بلغت من تكامل الفرح والسرور ، ما لم تبلغه ليلة سواها ؛ ولو كان الدهر يفصح لنا عن انشراحه وابتهاجه ، لأنبأنا بأنه ادخر هذه الليلة غرة لجبينه ، ودرة لتاجه .

أدام الله تعالى ليالى اجتماعنا ، وجعلها ليالى أنس وهناء ، وساعات ود وصفاء ، وقرن هذا القران بالتوفيق والهناء ، والسعادة والبقاء ، آمين ؟

٥

عم السرور وفاض الأنس وانشرحت	كل الصدور بمن أوصافه اشتهرت
... ... الذى بالفضل نعرفه	أخلاقه الغرُّ بين الناس قد عُرفت
قرانه جاء بالأفـــراح فاحتفلت	به الأحبة والإخـوان وابتهجت
وزادهم شرفاً لقياه إذ وجـدوا	منه مكارم نفس فيه قد طُبعت
والـكل فى فـرح تبدو مسرتهم	على الوجـوه وأنوار المنا بزغت
وراية البشر بالإسعـاد قد رفعت	فأعلنت عن مسرات بكم كملت
و بلبل الأنس يشدو صادحاً طرباً	ولحنـه أطرب الأرواح فانتعشت
وتلك آلات سعد بالهنـا عزفت	فأعربت عن سرور الكل مذ صدحت
نعم فرحنا أخا العليـا ومن بهج	عيون كل الورى مما رأت سُحرت
نعم طربنا أخا النعمى ومن طرب	ترى قلوباً لنـا بالأنس قد مُلئت
فدم يا أخا الصبـا واقبل تهانينا	ما غرد الطير أو شمس الضحى طلعت

٦

قامت شمائلكم مقام الراح ... ووجوهكم نابت عن المصباح
وبدت لكم آل العريس صَباحة ... تاه المَساء بها على الإصباح
وتكفلت أخلاقكم بضيوفكم ... كرماً فدارت دورة الأقداح
وسرى إليهم قبل طيب طعامكم ... طيبُ اللقاء وخفة الأرواح
ولقيتم كلاً بصدر واسع ... للزائرين لديه أى براح
توفيق ربك لا يزال به (رضا) ... يعطى الرضا وينال كل نجاح
لله موكبهُ وطلعته لنا ... (حَسناً) يُحفُّ بماجدين ملاح
العين ترمق منه بدر ملاحة ... والنفس تأخذ منه بدر سماح
وجبينه الباهى السنا متهلل ... يُغنى عن الإعراب والإفصاح
يارب زد (حَسناً) وأسرته (رضا) ... وامنن على الأحباب بالأفراح

(شوق)

خطبة وداع لموظف منقول

١ — سادتى الأفاضل

إن موقفى هذا لأشد مواقف الوداع على قلبى المملوء حباً وإخلاصاً لحضرة أخينا فلان . . . وعلى نفسى المتألمة لفراق من آنست إليه ، واعتدت الإحسان منه والاعتماد بعد الله عليه .

وإنى لا أستطيع فى ذلك الوقت القصير أن أوفيك أيها الصديق ما تستحق من الثناء ، وأعترف بما لك فينا من صنائع المعروف والأيادى البيضاء .

وإننى إذا قلت فإنما أترجم عن قلوب إخوانى ، وأنوب عن ألسنتهم فى تقديم عبارات الأسف لبعدك ، وانفصالك عنا فسلام عليك : سلام على أخلاقك الطيبة المرضية ، سلام على شهامتك ومروءتك ، وسلام على همتك واهتمامك بتنظيم الأعمال ، وإرشاد الرجال إلى ما فيه إصلاح الحال .

سلام على شهم فاضل أبى نزيه ، سلام على تلك الصفات العالية ، التى كانت لنا مورد عذب ننهل منه ، ومنبع عدل نرتع فى بُحبوحته ، وموضع حلم يتسع لكثير من جهلنا وهفواتنا ، وطهارة ذمة لا يغيرها الحوادث ولا يُغريها حب المال .

ثق يا سيدى الأخ بحسن الولاء ، والاعتراف بالجميل ، فإن لك فى قلوبنا آثاراً تمثلك أحسن تمثيل .

ثق بأننا محبون لك ، ولو كنا خيّرنا فى أمر نقلك لرفضنا وكنا نضن بك ، ولا نرضى برحيلك ، ولولا أن ذلك النقل فى سبيل رقيك يسير كما يسير البدر التمام ، لكان لفراقك عنا مرارة لا تحلو ، وغضاضة لا تحتمل .

ونحن لا سبيل لنا إزاء هذا الأمر الواقع إلا أن نحفظ لك فى قلوبنا ما أوليتنا من جميل ، وقيدتنا به من إحسان . فهل لك أن تتعطف على إخوانك وأولادك ، وتقابل إخلاصهم هذا بذكرك لهم ؟ وعدم حرمانهم من رؤيتك ، كلما اشتاقوا إليك لتدوم بيننا وبينك المودة والصحبة . والله لا يحرمنا من نعمة وجودك ، ويبقى لنا حياتك متمتعاً بتمام الصحة والهناء ؟

٢ — حضرة القاضى النزيه :

إن المحاماة لم يسؤها خبر مثل ما ساءها خبر نقلك ، ولم تأسف لفراق أسفهما

لفراقك ؛ لأن أعمالك لم تكن إلا سلسلة فضائل صيغت من أبريز المعرفة الصحيحة ، والإخلاص فى النية والمثابرة على الجد من غير ملل ، فالناس الذين كنت تحكم بينهم بالحق يلهجون بذكر ذلك العلم الذى كان يفيض من قلبك ، والحلم الذى كان ينبعث من خلقك ، والنزاهة التى كان يرددها حكمك والصواب الذى كان يشهد به فهمك والمحاماة تذكر كل ذلك وتحفظ لك ، إنك لست ممن غرّه زهو الوظيفة الباطل ولا احترام المرءوس العاطل ، ولا كرسى الجلوس الشامخ ولا الوقوف لمقام القضاء الباذخ ، فغفل عن الواجب وما غفلت وحاد عن العدالة وما حدت ، ونسى احترام الغير وما نسيت ؛ وتفخر بكونها أمك التى ربيت فى حجرها وقمت بحقوق برّها ولم تك تاركاً لها لقصور فيك أو عجز منك ولكن ليقوم برهان ربك على أن القضاء محتاج إلى العاملين من أبنائها يشغلون منه فراغاً أعوزته الدراية ، وأغفلته التجربة الصادقة .

هذا وقد كانت المحاماة تود لو قامت بإظهار شعورها نحو شخصك الكريم ؛ ولكن حال دون بغيتها بغير علم منا قيامك الطارئ ، وسفرك المفاجئ ، ولا تسأل عن وقع ذلك الخبر من أسماعنا وتأثيره على قلوبنا التى ملكتها بخلقك العظيم ووجدانك السليم .

فاقبل تحيتنا ، وسجل فى جريدة أخائك محبتنا ، وثق بأننا لك مخلصون ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ؟

٣ — كلمة موظف عند توديعه رئيسه وإخوانه

رئيسى وإخوانى الأفاضل :

أقف بينكم هذا الموقف ، وأنا بين عاملين يتنازعانى : الأول عامل السرور والفرح لاعتزالى خدمة الحكومة ، مستقبلاً الراحة بعد التعب ، والهناء بعد العناء ، (إن شاء الله) مغتبطاً بأداء واجبى نحو بلادى ، فى خدمة العلم والأدب ، منذ أربعين سنة كاملة ، على الوجه الذى ارتضاه لى ربى وضميرى ، مسروراً لخروجى من تبعة ومسئولية العهدة الجسيمة التى تحملتها ثلاثين عاماً ، سالماً شريفاً ، راضياً مرضياً عنى، ولله الحمد ، من حضرة رئيسى وزملائى .

أما العامل الثانى : فهو عامل الفراق والبعد عن حضرات الزملاء والإخوان ، الذين عرفتهم وعرفونى ، فعرفت فيهم الإخلاص والمحبة لى ، وكنت (ولله الحمد) موضع ثقتهم واحترامهم ، وكرمهم .

وإنى وإن كنت أفارقكم جسماً ؛ ولكنى لا أفارقكم روحاً ، وإنى أذكر لكم جميعاً بأنى باق على عهدى معكم ، وما زلت أحفظ لكم فى فؤادى عظيم الود والإخلاص ، وأسأل الله جل وعلا أن يتولانا جميعاً بجميل لطفه وعطفه ، وأن يحسن لى ولكم الختام ، وأن يحيينا ويمتنا على سنة خير الأنام عليه الصلاة والسلام .

هذا وقبل أن أختم كلمتى أقدم خالص الشكر والثناء لحضرة الرئيس على ما أولانى به من العطف والمساعدة التى كانت أكبر مشجع ومعوان لى للقيام بواجبى ، والسلام عليكم ورحمة الله ؟

مكاتبات التعازى

١ — من رسالة للخوارزمى فى التعزية

ورد عَلَىَّ خبر وفاة فلان فدارت بى الأرض حيرة ، وأظلمت فى عينى الدنيا حسرة ، فعلمت أنه شرب بكأس أنا شارب من شرابها ، ورمى بسهم سوف أرمى بها ، فبكيت عليه بكاء لى نصفه ، وحزنت عليه حزناً لنفسى شطره ، وسألت الله تعالى ، فإنه أكرم مسئول ، وأعظم مأمول ، أن يفيض عليه من رحمته ، ما يتم به سهمه من نعمته ، وأن يتغمد كل زلة ارتكبها برحمته ، ويضاعف له كل حسنة اكتسبها بمنته ، وأن يذكر له تلك الأخلاق الكريمة ، وتلك المروءة الواسعة العظيمة ؟

٢ — رسالة للثعالبى فى التعزية

ماذا نصنع والبلاء نازل ، والموت حكم شامل ؟ وإن لم نلذ بعصمة الصبر ، فقد اعترضنا على مالك الأمر . عليك بعزيمة الصبر وعزيمة الجلد ، فإنها فى الدين حتم ، وفى الرأى حزم .

واعلم بأن الميت لا ترده نار تلهبها من ألم على كبدك ، ولا يرجعه انزعاج تسلطه بالحزن على جسدك ، فخير لك من ذلك أن تفعل ما يفعل الذاكرون ، وتقول :

« إنا لله وإنا إليه راجعون »

٣

رأيت الدهر مختلفاً يدور فلا حزن يدوم ولا سرور
وقد بنت الملوك لها قصوراً فلم يبق الملوك ولا القصور

مَن علم بأن القضاء واقع ، وأن القدر محتم والحزن غير نافع ، لم تكبر عليه الرزية ولم يتكدر لحادث ، وإذا لم يكن للإنسان معز من نفسه ، لم يزده كلام المعزين إلا تذكيراً بمصابه ، وأسفاً على فراق أحبابه . وإنما الموت أمر قد خطه القلم من القدم ، والصبر على قدر الهمم ، فأسأله تعالى أن يفرغ على قلوبكم صبراً جميلاً ، وعلى من فقدتم عفواً جزيلا ، بلطفه ورحمته ؟

٤ — مَن علم بأن جميع ما فى العالم زائل لا بقاء له ، لم يحزن بفقد محبوبه ولم يتحسر لفوات مطلوب ، ومن لم يقبل هذه النصيحة ، ولم يعالج نفسه بهذا العلاج ، لم يزل فى جزع دائم ، وحزن مستمر . ومثلك من يعلم ذلك علم اليقين ، ومتمسك بأحكام الدين ، جدير به أن يقابل أمر ربه بالجلد والصبر ، ليغنم الثواب والأجر ؟

٥ — مَن يتفقد أحوال الناس ، يعلم بأن ما من أحد فى هذه الحياة إلا وأصابه سهم من سهام المنون ، ولا يخلو من الحزن أحد (فالهم مفترق وما أحد خلى) ومن يقارن مصيبته بمصيبة غيره هانت عليه المصائب ، وكان بتمسكه بالسكينة والصبر صائباً وأى صائب ؟

٦ — من نظر إلى مصائب العالم ، وبحث فى أسباب حزنهم ، علم أنه ليس يختص من بينهم بمصيبة غريبة ، ولا يتميز عنهم بمحنة عجيبة ، وإن الحزن

ما هو إلا مرض عارضى ، بل ألم نفسانى يزول بزوال السبب ، فالعاقل من عالج نفسه بالصبر والسلوان ، وخفف عنه الأحزان ، وطلب من ربه للفقيد الرحمة والرضوان ؟

٧ — يعلم الأخ ، أن جميع ما فى الكون ودائع الله عند خلقه ، وله أن يرتجع الوديعة متى شاء ، على يد من يشاء ، ولا ضرر علينا ولا عار ، إذا رددنا الودائع لصاحبها ، وإنما العار والسيئة أن نحزن إذا ارتجعت منا ، وهو مع ذلك كفر للنعمة ؛ لأن أقل ما يجب من الشكر للمنعم ، أن ترد عليه عاريته عن طيب نفس ، ونسرع إلى إجابته إذا استردها منا ، فلله ما أخذ ولله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل ، وما علينا إلا الاصطبار ، وطلب الرحمة والغفران من الواحد القهار ؟

٨ — إن المصيبة بفقد ولدك وإن جل موقعها ، وعظم موضعها ، فثقتك بالله إلى العزاء تهديك ، وأملك فى نيل الثواب والأجر يسليك ، وعلمك بأن الموت حق يقويك ، فخفف الله عن قلبك ثقل المصيبة ، وحرس عليك يقينك ، وزاد فى إيمانك ؟

٩ — صبرك الله على فقيدك ، وجعله لك فرطاً صالحاً ، وعوضك عنه أحسن العوض ، فى العاجلة والآجلة ؟

١٠ — إنى أعزيك بقلبى فيما أصابك ، وأسأل الله أن يلهمك الصبر ، لتفوز بالأجر ، وأن يعوضك فيه خيرا ؟

١١ — لا تحزن أيها الأخ على فقد ابنك ، فقد احتسبت عند الله تلك الوديعة ، وأنت أعلم الناس بما جرت به المقادير ، وما يناله الشاكر والصابر ، فاصبر فإن العاقبة للمتقين ؟

١٢ — أخى – نحن فى المصيبة سواء ، وفى العزاء شركاء ، وهكذا حال الدنيا هناء وعزاء ، ولله البقاء ، فلنصبر على ما أصابنا ونقول : « إنا لله وإنا إليه »

١٣ — بلغنى والأسف ملء فؤادى خبر وفاة المرحوم والدكم فشقّ علىّ مصابكم ، فاقبل منى واجب العزاء ، الدال على اشتراكى معكم فى هذه النازلة ، جعلها الله خاتمة حوادث الدهر ، وألهمكم الثبات والصبر ، وعظم لكم الأجر . على أنه لم يمت من كانت محامده تذكر ، ومحاسنه تردد فتشكر ؟

١٤ — رحم الله من أنت له خير خلف ، وأحسن عزاءك ، وأعانك على ما بليت به . نعم إنه لم يمت لك والد أنت محيي أثره ، ومخلد ذكره ؛ إلا أن المصاب فيه عظيم ، والخطب جلل . وإنى وإن عزيتك بهذا إلا أنى محتاج لمن يعزينى معك ، فأنا شريكك فى الضراء قبل السراء . ألهمنا الله الصبر ، وأطال لك العمر ، وعظم لك الأجر ؟

١٥ — أجزل الله صبرك ، ووسع لهذه النازلة صدرك ، وأنزل السكينة على قلبك ، ولا جمع عليك فراق الأحباب ، وفقد الثواب ، وأمدك بالنعمة والأجر والاحتساب ، ورزقك من الصبر ما يفضل عنك لكى تخلعه علىّ ، وترسله إلىّ ، فإنى والله شريكك فى هذا المصاب ؟

١٦ — لا تؤاخذنى أيها الأخ فى تأخرى عن التعزية ؛ لأن العذر كان والله عظيماً ، على أنك لو علمت مقدار ما انتابنى من الحزن والأسى ، لخففت عن نفسك بعض ما أنت فيه . فألهمك الله الصبر والسلوان ، وأفاض على الفقيد الرحمة والرضوان ، وجعلك له خير الخلف ، حائزاً درجة الفخر والشرف ؟

١٧ — وقفت على خبر وفاة السيدة حرمكم ، فساءنى والله ذلك ، ولكن الأقدار نافذة ، والأحكام جارية ، والأمور متصرفة ، والعالم فى قبضتها لا يقدر على دفعها ، والدنيا كلها إلى الشتات ، وكل حىّ إلى الممات ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ؟

١٨ — عظم الله لك الأجر ، وألهمك الصبر ، ورزقنا وإياك الشكر ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين ؟

١٩ — لا تحزن على فقد زوجتك ؛ فإنك لم تفارق منها إلا جسداً فانياً ، وأما نفسها العفيفة ، وروحها الشريفة ، فهى ترفرف حولك حينما تذكر محامدها ، وتعدد شمائلها ، فاذكرها ذكراً حسناً ، وادعو لها بالرحمة والمغفرة ؟

٢٠ — لا تجزع على ما أصابك ، فإن الجزع لا يرد ميتاً ، ولا يدفع حزناً ، وقد افترض الله علينا الشكر إذا أعطى ، والصبر إذا ابتلى ، فعليك بالصبر ، لتنال أجر الصابرين الشاكرين ؟

٢١ — عز نفسك بما تعزى به غيرك ، واعلم أن أعظم المصائب فقد سرور ، وحرمان أجر ، فكيف إذا اجتمعا مع اكتساب وزر ؟ فتناول حظك إذا قرب منك ، قبل أن تطلبه وقد نأى عنك . ألهمك الله عند المصائب صبراً ، وأحرز لنا ولك بالصبر أجراً ؟

٢٢ — إنى ليحزننى أن أكسى الكتاب ثوب الحداد ، وإنى أعيذك بالله أن يكون لشيطان الوجد عليك سبيلاً ، أو يطرق عليك هوى الأحزان ، أو يميل طرفك إلى النحيب والبكاء مثل النساء . فإن جزعت جرى عليك القدر وأنت مأزور؛

وإن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور ، فكن حيث أمرك الله ، واستعن بالصبر والصلاة ، فإنها أمان من الجزع ، وفيها برد وسلام للقلوب ، والسلام ؟

٢٣ — أخى العزيز :

نعى الناعى إلى من ارتبطتم معه بحبل المودة ، وجمعتكم وإياه جامعة المحبة فوقع عندى نعيه موقعاً أدمى العيون وآثار الشجون علماً منى بأن ذلك يأخذ من سرور أخى ، ثم تذرعت بالصبر ، ورضيت بالقضاء والقدر . فكن مثلى تشركنى فى رضا الله وأجره فبثلك من صبر ، وبأوامره ائتمر . أطال الله بقاءك ، ولا أراك مكروهاً بعده ، آمين ؟ المخلص

٢٤ — للمرحوم عبد الله باشا فكرى فى التعزية

يعز عَلَىَّ أن أكتب إلى سيدى معزياً ، أو ألم به فى ملمة مسلياً ؛ ولكنه أمر الله الذى لا يقابل إلا بالتسليم ، وقضاؤه الذى ليس له عدة سوى الصبر الكريم ، ولقد علم سيدى (أجمل الله صبره ، ولا أراه من بعد إلا ما سره وشرح صدره) إن الله جل ثناؤه وتباركت آلاؤه ، إذا امتحن عبده فصبر آجره ، وعوضه بكرمه ونحن وإن تأخرت آجالنا وطالت آمالنا لسنا فى دار مقامة وقرار كرامة ، حتى نحزن على من فارقها ؛ ولكنا فى سبيل سفر ، ودار كدر ، والله يسهل لسيدى سبيل الصبر ، وتحصيل الأجر ؟

٢٥ — أخى : المصيبة (حرسك الله) وإن كانت أكبر من التعزية ؛ ولكن ثواب الله أكبر من المصيبة ، والإيمان بالله أكبر من الثواب وما آمن بالله من لا يثق به ، ولن يثق به من لا يطمئن إلى حكمته ، ولا اطمأن إلى حكمته من

لا يرضى بحكمه ، ولا يرضى بحكمه من سخط على ما ابتلاه . ولقد عرفتك من أوثق الناس إيماناً ، فلتكن من أحسنهم صبراً وأجملهم عزاء . ونحن الضعفاء المساكين ، إنما نعامل الله بما يصيبنا به ، فإن جزعنا فقد بلغنا حق أنفسنا ، فلا حق لها من بعد ، وكأنما أصبنا مرتين ، وإن صبرنا فما أحرى أن يكون الصبر على المصيبة هو ربح المصيبة ، والسلام ؟

المقطم فى ٢٩ اكتوبر سنة ١٩١٩

٢٦ — سيدى الأخ العزيز

فوجئنا بنعى شقيقكم الكريم ، وإنه لرزء عظيم ، ونعى علينا أليم ، فقد كنا منذ تعارفنا حليف ود صميم ، وعهد قويم ، لا تبليه الأيام ، ولا تنسيه الآلام ، كلانا شريك صاحبه ، ولو قصر فى واجبه ، وما أنا وحقك بالمقصر ، ولكن المرض أعيانى عن الحضور ، وأنا معك بالقلب والشعور ، ولن أحاول أن أعزيك وأنت سيد الأدباء ، وأدرى بدواعى العزاء ، ولن أحاول أن أثبت لك عواطفى نحوك ، فذلك مالا يحتاج إلى بيان عندك ، وإنما شق علىّ أن أتخيلك حزيناً كئيباً ، بل وحيداً غريباً ، والرجل الطيب غريب فى هذه الحياة ولو كثر إخوانه ، مغلوب ولو كثر أعوانه ، شق علىّ أن أرى الشمائل اللطيفة ، والأخلاق الشريفة ، والمشاعر الدقيقة ، والعواطف الرقيقة ، تصدم هذه الصدمة القاسية ، ولا أكون أنا أول المضمدين ، وأول المرضين ، مع أنى أول المخلصين ، فجئت معتذراً ، وأنا ظالم لنفسى ، فلا تؤاخذنى ، وتقبل منى ، والسلام عليكم ورحمة الله ؟

المخلص

٢٧ — تعزية فى هدم بيت

بلغنى ذكر المهدّة ، فالحمد لله الذى هدم الدار ، ولم يهدم المقدار ، وثلم المال ،

ولم يثلم الرجال ، وسلط الحوادث على الخشب والنشب ، ولم يسلطها على العرض والحسب ، ولا على الدين والأدب ، ولا بد للنعمة من عودة ، ولا بد لعين الكمال من رُقية ، ولأن يكون المصاب فى دار تبنى ، ومال يجبر ويجنى ، خير من أن يكون فى النفس التى لا جابر لكسرها ، ولا نهاية لقدرها ، والسلام ؟

٢٨ — أبلغ تعزية

أصيب على بن موسى بمصيبة فصار إليه الحسن بن سهل فقال : إنا لم نأتك معزين ؛ بل جئناك مقتدين ، فالحمد لله الذى جعل حياتكم للناس رحمة ، ومصائبكم لهم قدوة ؟

أجوبة مكاتبات التعازى

١ — إن فكرى الذى أسقمه الحزن ، لا يفوته تقديم واجب الشكر لحضرتكم ، على تعزيته بجوابكم ، الذى جاء مخففاً لمصابه لا أرانى الله فيكم مكروهاً ، وجزاكم عنى خير الجزاء ؟

٢ — وصلنى تلغراف تعزيتكم ، وإنى لأدخر جميلكم هذا فى فؤادى ، وأبدى لكم من سويداء قلبى شكراً خالصاً ، وحمداً كثيراً ؟

٣ — إن أفئدتنا المجروحة بسهام الحزن ، أسفاً على وفاة المرحوم والدنا ، لم يندمل جرحها إلا بمرهم تعزيتكم لنـــا ، وتدعونا لتقديم خالص الشكران ، على مشاركتكم إيانا فى الأحزان ، فجزاكم الله عنا أحسن الجزاء ، وأطال لكم البقاء ؟

٤ — وصلنى جواب التعزية ، فكان لى منه أعظم تسلية ، فلك الشكر ولا أرانى الله فيك مكروهاً ، ووقاك من شر حوادث الأيام ، وأبقاك فى أمان وسلام ؟

٥ — وصلتنى تذكرة تعزيتك لى ، فخففت عنى آلامى ، ولطفت أحزانى ، وأطفأت لهيب قلبى ، وفرجت عنى كربى ، فلا عدمتك ، ولا عدمتك المروءة والإنسانية ؟

٦ — تلقيت مع الشكر خطاب تعزيتكم لى ، فكان لنار حزنى برداً وسلاماً ، ولمصابى مخففاً ومسلياً ، فأشكرك شكراً جميلاً ، وأرجو لك حياة طيبة وعمراً طويلاً ؟

٧ — أخى — أدامه الله لأخيه ، ولا ساءه فيه :

وردت عَلَىَّ تعزيتكم المشمولة بالعطف واللطف ، فكانت لجوى الفؤاد برداً وسلاماً ، ولولاها لفقدت الصبر ، وعبثت بى يد الأسى والضر .

فلا زلت مصدر الخير لأخيك ، ولا زال فضلك مورداً للسرور ، أمدّ الله فى حياتك ، وقرنها بالسعادة ، آمين ؟

أخوك المخلص

٨ — شكر سعد باشا للشعب المصرى

بمناسبة تعزيتهم له فى وفاة المرحوم سعيد بك زغلول

سبحانك ربى ما أبلغ حكمتك وأوسع رحمتك ! تدبر الدواء قبل الداء ، وتلهم الصبر عند القضاء ، فلك الشكر فى الضراء كما فى السراء .

أصبتنى فى مكان الحب فى قلبى ، وموضع الرجاء فى نفسى ، ولكنك أفضت أجمل العزاء .

قضى وحيدنا فى غربته ؛ وامتنع علينا المسير فى جنازته ، فجزعنا وابتأسنا ؛ واشتدت بنا الكرب .

ولكن الله تعالت قدرته ، أدركنا بواسع رحمته ، فعوض العزيز من والديه شعباً برمته ، نعاه فخفا عليه ، وحفّ بنعشه ، وشيعه بزفراته الصاعدة ، ودعواته الصالحة خففت هذه الرعاية من أحزاننا ؛ ولطفت من آلامنا ؛ بل زادت فقوت انتسابى لهذا الشعب الكريم ، وأكدت تعهدى بالفناء فى محبته ، وتضحية كل عاطفة دون خدمته .

كيف يمكن بدون هذه التضحية ، وذاك الفناء ، أن أفى بواجب شكره ؟ وهو يزيد فى وزنه عند كل شدة ورخاء ، وفى كل فرصة من عزاء وهناء ، بما يسدل عَلَىّ من المكارم الجليلة ، والتعطفات السامية .

أيها المصريون — أنتم عزائى ، أنتم فخرى ومقصد رجائى . بكم سلوتى ، ومنكم مسرتى ، ولكم حبى وقلبى ، ولكم الحياة الباقية ؟

سعد زغلول

أهرام يوم الجمعة ٢٧ يوليو سنة ١٩٢٣

٩ — أخى الفاضل سعادة الشيخ على يوسف

خفف الله لوعتك ، وأرقأ دمعتك ، وجنبك الجزع ، ووقاك الهلع ، وألهمك الصبر ، وأجزل لك الأجر ، ورزقك من البنين فى مستقبل السنين ، ما تقر به عيناك وتقوى به يمناك ، وأنت والحمد لله فى قوة ، و بقية من الفتوة ، تمكنك من الأبوة ، لخير البنوة .

على أن لك فى عالم السياسة ، وضروب الكياسة ، فى هذه البلاد ، ألوفاً من الأولاد ، وآثاراً كبرى ، تضمن لك الذكرى ، وتجعل لك على مدى السنين ، لسان صدق فى الآخرين . والسلام عليك ورحمة الله ؟

مشاطرك الحزن

حفنى ناصف

١٠ — عزيزى الأستاذ

قلوب الآباء حول قلبك المصاب بحبته وحبيبه عمر .

عرفته طفلاً وصبياً ، فعرفت زين البنين وصورة الروح الأمين فاحسبه على رحمة الله ، فإنها خير له من قلبك منزلا . وأبقى له منك ذخراً وموئلا . وهو سبحانه المسئول أن يلطف بقلبك المحزون فى زلزاله المستمر ، وبركانه المستعر .

انظر إلى الآمال كيف تفوت ، وإلى الأنفس كيف تموت ؟ بينا الأرض تقوتها إذا هى للأرض قوت . أمر الله المتصرف فى ملكه . القاهر فوق عباده . الذى يأسو بلطفه ورحمته ما جرح بقضائه وقدره ؟

المخلص

شوقى

١١ — عزاء أيها السيد السند . فلئن عظم المصاب بما ذوى من فنن الدوحة الهاشمية فثواب فرطه أعظم .

ومثلك من يقابل القضاء بالرضاء .

نسأله تبارك وتعالى أن يضاعف لك الأجر ، ويمنحك جميل الصبر ؟

حمزة فتح الله

١٢ — صديق الشيخ على يوسف

لا يدرك كنه الثكل ولا يشعر بثقله إلا الوالدون ، ولا سيما إذا كان الفقيد وحيداً تحدق به الآمال وترعاه العيون وتتمشى معه القلوب ، وبعض الثكل يقتصر الأسف فيه على الأقربين وبعضه يتناول الأكثرين ، فيبكى الفقيد غير أهله وهم لا يعرفونه ولا رأوه ، وإنما يبكون آمال والد عرفوه بآثار قلمه وجهاده فى خدمة وطنه وكانوا يتوقعون فى نجله خلفاً يبنى على ذلك الأساس فلا غرو إذا وقع خبر الفاجعة التى أصابتكم بفقد نجلكم الوحيد رحمه الله وقعاً شديداً على أصدقائكم وزملائكم ، ومثلكم فى غنى عن تعزية المعزين ، بما لكم من التعقل وسعة الصدر ، وأنتم أعلم الناس بمصير الناس . فهل تأسفون على حياة إذا أولد صاحبها هذه الثكل ؟ وإذا اغتنى خاف الفقر وإذا صح خاف المرض وهو بين ذلك تتنازعه عواطف القلب شوقاً إلى اللقاء أو أسفاً على الفراق . وأغرب ما فيها أنها إنما تلذ بالحب ، والحب أصل المتاعب . فمثل هذه الحياة لا أسف عليها ، ونحن مع ذلك غير مخيرين فى القبول أو الرفض وإنما هى تجرى بأقدار يقصر إدراكنا عن الإحاطة بها . فأقبل أيها الصديق مشاركتى فى حزنك وذلك غاية ما يستطيعه المحب فى مثل هذه الحال ، والسلام م؟

جورجي زيدان

خطب رثاء وتأبين

١ — سبحان الحى الذى لا يموت

كلنا إلى الموت سائرون . فإنا لله و إنا إليه راجعون

إن من فقدناه فى هذا اليوم ، ليس رجلا كباقى الرجال ، بل رجل هو عنوان الأدب والكمال ، عنوان العفة والاستقامة ، عنوان الشرف والفضل . على فقد مثله تبكى العيون ، وتحزن القلوب ، نعم يحق لنا أن نبكيه ونندبه ؛ ولكن ماذا يفيد العويل ، والندب والتهليل ؟ فلو كان الحزن يجدى ويفيد ، أو يعيد الفقيد ، لبكينا عليه بدل الدمع دماً ، وجعلنا عليه الحزن محتماً ؛ ولكن لا راد لقضائه ، ولا دافع لقدره . فلتبكه الفضائل ، ولتحزن عليه الإنسانية ، ولا حول لنا ولا حيلة ، غير التجلد والصبر ، والتضرع لله عز وجل ، بأن يمطر عليه سحائب رضوانه ورحمته ، وأن يلهمنا جميعاً وأسرته الصبر لنفوز بالأجر ؟

٢

كل ابن أنثى و إن طالت سلامته　　يوماً على آلة حدباء محمول

مات أخونا . . . . . . الذى كان راية فى أفق المعالى والمعارف ، وآية فى المكارم واللطائف ، وغاية فى خدمة الأدب والإنسانية ؛ كان والله فتى لا نظير له ، عاش حر الضمير ، حر الفكر قولا وعملا ، ومات كذلك . فلتبكه ضمائر الأحرار ، وترثيه الحرية والوطنية ؛ كان رحمه الله زهرة الأدب فى المجالس ، وريحانة العلم فى المحافل ، فلا عجب إذا اجتمع حول قبره الأدباء والأصدقاء ، وأكثروا عليه النواح والبكاء ؛

مات وأدرج فى كفنه ، ودفن فى قبره ، وحال بيننا و بين وداعه هادم اللذات، ومفرق الجماعات فيا إخوان الفقيد ابكوا عليه ما وجدتم فى العيون من الدموع ، واتلوا على روحه (الفاتحة) لتكون تحية منكم إليه ، ورحمة من الله عليه ؟

٣ — كل حى ميت

ما ذا أقول فى تأبينك أيها العزيز ؟ يامن أوحشت الدار ومن فيها ، وآنست القبور وساكنيها ، يامن أبكى الأدباء ، والأصدقاء والكبراء والفقراء . أقول :

ليبكك الأهل والإخوان ، فقد كنت ودوداً محبوباً ، ليبكك الكتّاب والأدباء ، فقد كنت كاتباً أديباً ، ولتبكك المجالس ياخير جليس ، ولتبكك محافل الأنس ياخير أنيس ، لتبكك الجمعيات الخيرية ، فقد كنت عضواً نافعاً فى الهيئة الاجتماعية .

أما أنا فأشترك مع الجميع بقلبى ولسانى فى الحزن والأسف على فقدك ، والدعاء لك بالرحمة والغفران من الرحيم الرحمن ؟

٤

كل شىء مصيره للزوال غير ربى وصالح الأعمال

نحن فقدنا اليوم رجلا فاضلا . وإنساناً كاملا . نعم فقدنا رجلا يفدى بآلاف من الرجال . لما اشتهر بهمن مكارم الأخلاق وجليل الأعمال ؛ إذا ذكر العلم كان حامل لوائه . وإذا ذكر الحق كان أكبر ناصر له . وإذا ذكر العدل كان أكبر مشيد لأركانه . وإذا ذكرت مكارم الأخلاق كان إنسانها . وإذا ذكرت الوطنية كان مثالها . وإذا ذكرت البلاد وحقوقها كان أشرف وأصدق خادم لها .

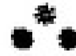
كان رحمه الله على جانب عظيم من الرقة والدعة . ودماثة الأخلاق . مع ما اتصف به من حرية الفكر . والمجاهرة بالحق مع كل إنسان . وأمام أكبر إنسان فلذلك كان موته مصاباً عظيماً للجميع . حيث فقدنا رجلاً لا يعوض . مات رحمه الله وسكن دار السكون والخلود . فآنس الأموات وشرفها . وترك لذريته أكبر ميراث : ميراث الشرف الخالد . والمجد الباقي . وترك لنا الأسف عليه . والحزن لفراقه ؛ فلنبكه العمر كله . ونندب علماً غزيراً . وفضلاً عمياً . وأدباً فائقاً . ومروءة عالية . ووفاءاً نادراً . وخلالاً كاملة . وندعو الله بخالص وجدان . وصدق جنان . أن يرحمه برحمته الواسعة . ويلهمنا وآله ومحبيه الصبر والسلوان . آمين م؟

٥ — رثاء المرحوم محمـــد علوى باشا

ألقى الشاعر البارع إبراهيم افندى حسنى ميزار الأبيات الآتية على جدث المغفور له محمد علوى باشا طبيب العيون ومدير الجامعة

عيون . وقد كنت نور العيون ـــــتبكيك من دمعها بالهتون
وما الدمع إلا الشجون تسيل وكم فى حياة الفتى من شجون ؟
إذا كشف الناس سرّ الحياة فللموت سرّ خفى مصون
وإن عرف النـاس داء الحياة فهـــل يعفون دواء المنون ؟
وإن علم النـاس ما مر أمس فهـــم يجهلون غداً ما يكون
وهل يفتح الطب هذى الجفون إذا أغمض الموت هذى الجفون
هنا . تستفيض دموع العيون فقـد خلقت للدموع العيون

لك الذكر بعد الحياة وكان   لك المـــال زينتها والبنون
لك الله يا راحـــلاً للخلود   إلى جنــــة وعد المتقون



أنبأتنا بنعيك السافيـــات   فرثاك الأحياء والكائنات[1]
وسمعنـــا للرعد نوحاً طويلاً   وبكتك السماء والهاطلات
وانتظرنا بأن تغور الدراري   وتغيب النجوم والمشرقات
وكذاك العظيم إن مات قامت   للورى عنـــد موته آيات
إن ذكر العظيم يبقى جديداً   ما توالى الزمان والسابحـــات
لست ميتاً وإنمـــا أنت حي   إن بلى الجسم تخلد الصالحات
أنت (علوى) وقد صعدت لأعلى   حيث تحظى بشخصك الجنات
يا عظيـــماً بموته هد شعب   وتداعى المعروف والطيبـــات
يا نصير العلوم والخير قامت   فيك تبكى عيدها (الجامعات)
يا سراجاً أضاء قدماً عيوناً   قد غشتها لرزئه الظلمـــات
إن يكن قد بكاك أهل وصحب   فكذا مصر كلهـــا عبرات

المعادى   ع . صبرى

كتب سعادة (إسماعيل صبرى باشا) وكيل نظارة الحقانية السابق إلى سعادة السر (يوسف سابا باشا) ناظر المالية يعزيه على فقد (نجله) فريد وقد قصف الموت غصنه الرطيب :

سابا اتقِ الله وخـل الأسى   لجاهلٍ يُعـــذرُ فى جهله

---

(١) ذلك بمناسبة العاصفة التى هبت ليلة وفاة الفقيد والمطر الذى تقدم خروج جنازته .

لا تكترث بالرزء وانهض به ... فالرأى كل الرأى فى حمله

مثلك من يلجأ إن راعه ... يوم بمكروه إلى عقله

قضى (فريد) وهو غض الصبا ... وخلف الحسرة فى أهله

وقابلته فى الجنان العلى ... ملائك معه فى شكله

واهاً له من غصن ما نما ... حتى ذوى واجتث من أصله

ما با ابك لكن كالحكيم الذى ... يخاف أن يُطعن فى نُبله

واصبر فكم من جزع آكل ... من صحة المرء ومن فضله

فالليث لا تنسيه أحزانه ... مقامه إن ضيم فى شبله

إسماعيل صبرى

راحة القبر

إن سئمت الحياة فارجع إلى الأر ... ض تنم آمناً من الأوصاب

تلك أم أحنى عليك من الأ ... م التى خلفتك للأتعاب

لا تخف فالممات ليس بماح ... منك آلاماً نشتكى من عذابه

كل ميت باق وإن خالف العنوان ما نص فى غضون الكتاب

وحياة المرء اضطراب فإن ما ... ت فقد عاد سالماً للتراب

إسماعيل صبرى

مكاتبات التهادى

١ — إنى أبعث إليك بهدية منى وأنا أعلم أنك فى غنى عنها ولكن أحببت أن تعلم أنك منى على بال والسلام ؟

٢ — أهدى سيدى هذه الهدية ، وهى وإن صغرت فى جانب قدرك ، فإنها إن شاء الله مقبولة فى ساحة فضلك ؟

٣ — الهدية فى نظر الأصفياء جليلة ، وإن كانت قليلة ، ومكانتها خطيرة، وإن كانت يسيرة موسة حسنة ، أجمعت على استحسانها الألسنة ، فكم جددت بين الأحبة عهود الصحبة ، وزادت فى المودة بين الإخوان . فلهذا أقدم لأخى تلك الهدية مستشفعاً فى قبولها كرم خلقك ، وإنى وإن كنت أعلم بأن مقامك السامى يجل عن أن يرفع إليه مثل ذلك ، ولكنا عرفناك متواضعاً فى علاك ، وهذا ولا شك من كرم سجاياك ، والسلام ؟

٤ — النفوس الشريفة متى تأكدت بينها وسائل الصحبة ، صدقت فى المحبة ، وتراسلت مراسلة الأحبة ، وتعاملت معاملة النظراء وإن لم تكن فى الفضل بأكفاء ، وتهادت مهاداة الإخوان ، وقابلت الإحسان ، بمزيد الإحسان والإمتنان . ولسيدى علىّ من جليل النعم ، وعظيم الفضل ، ما استوجب الثناء ، وحسدتنى عليه

الأعداء ؛ فلهذا بعثت إليه بهدية صغيرة ، إزاء بعض نعمه الجزيلة ، راجياً القبول ، لأنال بذلك غاية المأمول ، والسلام ؟

٥ — من رسالة للشيخ أحمد مفتاح

الهدية غمرك الله بالمعروف ، تبسط يد المودة ، وتغرس بين المتحابين من الائتلاف بقدر ما انقطع بينهما من شجر الخلاف .

وما أنا فيما أهديه إليك إلا كواهب الماء للبحر ، والضوء للبدر ، على أنى وإن تطفلت عليك ، وسقت لك هذا الكتاب فقد أصبت كبد الصواب ، ووضعته حيث يعرفه أهلوه ، ويتقبله من باذله عالموه ، علماً بأنك عماد العلوم وأساس الفضائل ، وإلا

لو كان يهدى على قدرى وقدركمو   لكنت أهدى لك الدنيا وما فيها

٦ — من رسالة لمحمود بك أبو النصر فى إهداء كتاب

أيها الأمير الجليل

إليك أقدم تلك الهدية المرضية ، وأرفع ذلك الكتاب المستطاب مشفعاً فى قبوله كرم سجاياك ، وعظم مزاياك وإنى وإن كنت أعلم أن مقامك الرفيع يجل عن أن يرفع إليه مثله ، فقد عرفناك متواضعاً فى علاك ، قريباً مع اعتلاك .

دَنَوْتَ تواضعاً وعلوت مجداً   فشأنك انخفاض وارتفاع

كذاك الشمس بعد أن تسامى   ويدنو الضوء منها والشعاع

فعساه أن يحظى بالقبول ، فأبلغ غاية المأمول والسلام ؟

٧ — سيدى وأستاذى

أحق الناس بجنى الثمرة غارس شجرتها ، ومغذى تربتها .

ولما كنت ياسيدى أنت صاحب الفضل ، فى نشأتى وتربيتى ، كان حقاً علىّ أن أرفع إلى مقامك السامى ما وقفت إليه من البحث والتنقيب ، فيما يعود على الزوجين من الراحة والسعادة ، فأتشرف بأن أقدم لسيادتكم كتابى هذا ، وأنا على يقين من أنى أقدم لمصدر العلم والأدب أثراً من آثار فضله وعلمه ، أملا أن يحوز لديه القبول ، فيكون لى غاية المأمول ؟

٨ — أيها الخل الوفى

هذا رسمى أهديه إليك تذكرة ولاء وتقدمة إخاء وهو وإن كان صامتاً ، ولكن عليه شعار الحب ، وسمات الشوق ، وآيات الإخلاص وهو أفصح ترجمان عما بقلبى لك من الحب الخالص والود الأكيد ، فرجائى إليك أن يكون موضع عينيك ، حتى تذكر محباً لم ينحرف قلبه عنك ، ولم ينطق لسانه إلا بذكرك ، ولا يتغنى إلا بمحاسن خلالك وجميل صفاتك وقد استشهد الله على أن يقيم دائماً على شرائع مودتك محافظاً على محبتك والسلام ؟

٩ — سيدى الأخ الصديق

جرت العادة فى مثل هذا اليوم المبارك أن يهدى كل صديق صديقه هدية ، ويقدم له تذكار الإخاء والولاء ، فأقدم لأخوتكم مع فروض التهانى ، صورتى تذكاراً لأخوتى ، ودليلاً جديداً لصداقتى ، فى عهدى ومودتى ، وإنى أدعو الله بأن يعيد عليك هذا العيد أعواماً عديدة ، والسلام ؟

١٠ — أهدى إليك رسمى وأنا حاسده على الحظوة التى سينالها عندك ، ومهنئه بما سيفوز به من لحظاتك ، وابتساماتك اللطيفة ويا حبذا لو كنت محله لتلذذت بعظاهر ولائك ، وتمتعت بحسن لقائك ، وناجيتك بأرق ماتناجى به الأحياء وتهادلنا عواطف الأصدقاء ؟

١١

أهديك صورة مخلص لتكون عندك باقية
البعد ثوب سقامها والقرب ثوب العافية

أما بعد ، فإنى مرسل إليك رسمى تذكرة وداد ، وهدية فؤاد ، متمنياً لو كنت حقيقة فى ذلك الرسم . فتقبلها مع مزيد سلامى عليك ، وعلى آلك جميعاً ؟

١٢ — مهما طالت الآجال ، فالمصير للزوال ، وقد صورت نفسى عساها بعد موتى تجدد لى حسن الذكر ، وتستمد لى رحمة الإخوان .

أمضى وتبقى صورتى فتعجبوا تمضى الحقائق والرسوم تقيم
والموت تجلبه الحياة فلو حوى روحاً لمات الهيكل المرسوم

وبما أنك أيها الأخ أحب الناس إلىّ ، وأكثرهم وثوقاً لدىّ ، فقد أهديتك صورتى ، لتكون فى عجمها دليلاً على العجز عن إهدائك ، ولتكون تذكاراً لأخوتى، وتأييداً لصداقتى ، فى عهدى ومودتى . فمهد لها من لدنك القبول ، فهو لى غاية المأمول ؟

١٣

من عادة الأحباب أن يتبادلوا صوراً إذا كان اللقا يتعذر
وأنا بعثت بصورتى لا أبتغى بدلاً لأنك فى الفؤاد مصوَّر

١٤ — وجدت فى شخصك الكريم نفساً تقدر الأعمال حق قدرها ، ورجلاً فاضلاً محباً لترقى العلوم والآداب ، معضداً لنشر المعارف والعرفان ، بين أبناء الوطن العزيز ، فلذلك أهديتك كتابى لأحظى بشرف قبوله من سامى مكارمكم وإن كان صغيراً ، فتنازلكم بقبوله يكون جليلاً ، ويكون ثنائى عليكم لهذا التنازل جميلاً ؟

أجوبة مكاتبات التهادى

١ — [illegible] عن برك الذى يدفعنى لشكرك ، ويخرطنى فى سلك مودتك ، ويزيدنى مسرة بزيادة الله عندك . أما علمى بأنى منك على بال ، فيقينى بذلك راسخ ، وحمدى لله زائد ، لا عدمتك أخاً باراً ، ولا عدمتنى صديقاً ساراً ، إن شاء الله ؟

٢ — وصلتنى هدية الأخ رعاه الله ، وزاد فى علاه ، فكان لها الوقع الجميل من النفس ، والمحل السامى فى الفؤاد ، وقد قبلتها بالشكر والدعاء وعظيم الثناء ، أكمل الله لك المواهب وجملك برداء الكرامة ؟

٣ — جاءتنى صورتك الشريفة فقرّت بها عينى ، وتناولتها بالمسرة والقبول ، وإنى لشاكرك على هذه الهدية الأخوية التى استرقت لبى ، واسترقّت قلبى ؟

٤ — أيها الصديق الحبيب :

وصلنى رسمك الزاهر الذى أشرقت به سماء محياك ، فرحبت به أعظم ترحيب ، وحييته أجل تحية ، وأنزلته أكرم منزلة ، وأعلى مقام ، إجلالاً لصاحبه الذى ملك القلوب بكمال آدابه ، ولطيف أخلاقه ، ولا شك أنه سيكون موضع أنسى ولذتى ، ومرمى نظراتى الولائية ، ومركز عواطفى الأخوية ، فأشكر لك هذه الهدية ، وأثنى أطيب الثناء على هذه العواطف الشريفة ، وأرجو الله بأن يديم لنا ودك ورضاك ، ويبقى لنا حياتك ممتعاً بدوام الصحة ؟

٥ — وصلنى رسمك الشريف فقبلته قبلة الأخ الصادق ، ووضعته فى قاعة الاستقبال ، وكلما أنظر إلى صورتك الشريفة أرى فيها نوعاً من الحياة ، ويخيل لى حينئذ أنى معك وجهاً لوجه كما كنا فى أيام القرب والصفاء ، ولم يبق عندى ما أتحفك به سوى أن مثالك العزيز لا يفارق خيالى ، وحبك الطاهر لا يزايل قلبى ؟

٦ — وصلتنى هديتك اللطيفة ، ورقعتكم المنيفة ، فلهج القلب بشكركم واللسان بتعطير ذكركم على ما لكم فى الفؤاد من الحب الخالص والود الأكيد . أسبغ الله عليكم بركته وأتم نعمته ؟

٧ — أحسنت فى الظن فرفعت قدرى ، وجبرت خاطرى ، وأهديتنى كتابك النفيس ، الذى يقوم مقام الأنيس للجليس ، فلك الشكر من مزيد الشكر . نجح الله عملك و بلغك غاية أملك ؟

٨ — يقول الناس : إن الكلام يخرج من الفم حياً فإذا نزل على الورق مات .

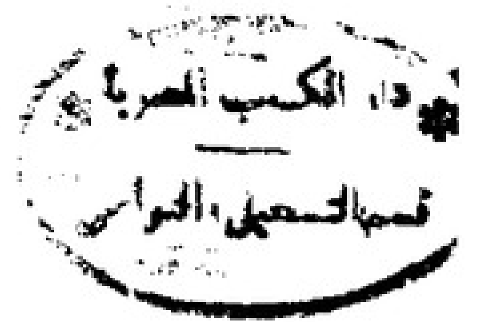
ولكن لكلامك أيها الكاتب البليغ حياتين : حياة فى اللسان وحياة فى البنان ؛ لأنى قرأت كتابك الذى تفضلت بإهدائه إلىّ فشعرت فيه بروح شريفة ، ونفس عالية ، وكلما أطالعه ألتذ به طرباً ، وأنشرح به صدراً ، لأنه بالغ حد الغاية فى الحياة .

فهكذا تكون الكتابة ، وهكذا يكون الكلام . ومنى عليك السلام ، فى المبدأ والختام ؟

٩ — قرأت كتابك الكريم فرأيت فى سطوره أدب الكاتب البليغ وفى جمله روح المعانى والبديع ، وهى تستحق بأن تكتب بالذهب ، لأنها كلها أدب وطرب ، فأهنيك قبولا واستحسانا ،وأهديك شكراً وامتنانا،وأسلم عليك قلبا ولسانا ؟

١٠ — قرأت كتابك الجليل ، وإنى أكتفى بأن أقول :

هذا كتاب جميل ، ولا حاجة لإقامة الدليل ؛ لأن العين لا تشبع من مطالعته ، والأذن لا تمل من حديثه العذب ، والفؤاد لا يشتفى من معانيه المفيدة ، ولهجته المؤثرة وقد حفظته حفظ الإنسان لجوهرة كريمة ، أو درة ثمينة ،ذخراً وذكراً ، وحررت لك هذا قبولا وشكرا ، والسلام ختام ؟



فهرس